موسوعة

معجزات الأنبياء

محمد محمود

دار أسامة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

موسوعة
معجزات الأنبياء

تأليف

محمد محمود عبد الله

دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان

هاتف : ٥٦٥٨٣٥٣ – فاكس : ٥٦٥٨٣٥٤ – تلفاكس : ٤٦٤٧٤٤٧

ص. ب : ١٤١٧٨١

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٠٤٧ / ٥/ ٢٠٠٤)

٢٤٣

موســوعة معجزات الأنبياء/ جمع وإعداد محمد محمود عبد الله

.- عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠٠٤.

(   ) ص .

ر.إ :١٠٤٧/٥/٢٠٠٤.

الواصفات :/المعجزات// الإيمان//الإسلام//الموسوعات/

تم إعداد بيانات الفهرسة و التصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



المقدمة:

لا يغيـب عن مؤمن أن النبوة أصل من أصول الدين وتشترك في هذا الاعـتقاد جميعاً، والنبوة من ضروريات الدين فبعد الاعتقاد بالتوحيد والعدل الإلهي فإن بعثة الأنبياء لهداية البشرية إلى الصراط المستقيم تعتبر جزءا من العدل الإلهي.

حيث أن الله سبحانه وتعالى وبمقتضى لطفه وعدله يلهم مجموعة من عـباده بالعلوم الغيبية والمعارف الإلهية والأحكام الشرعية التي تضمن سعادة الـناس ويبعثهم لهداية وإرشاد البشرية وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

إن الإنسـان الذي يحمل الرسالة الإلهية يسمى نبيا ويسمى رسول الله ومجمـوع الرسالات التي جاء بها الأنبياء تشكل ينبوع الأديان الإلهية الكبرى ومن شروط النبوة العصمة من الخطايا والذنوب.

إن الاعـتقاد بنـبوة الأنبياء بشكل عام وبخاتمية نبوة سيدنا محمد ﷺ بشكل خاص يعتبر من أصول ديننا، أما الاعتقاد بعدد الأنبياء قبل النبي الخاتم فـلا يعتـبر مـن ضروريات الدين. فالمشهور عن عدد الأنبياء كونهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبياً بعثهم الله تعالى بالنبوة أولهم آدم صفي الله وآخرهم محمـد المصطفى ﷺ، ومن بين الأنبياء المبعوثين خمسة يعتبرون من الأنبياء العظـام –أولى العزم– وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، وتعتبر شرائعهم ورسالاتهم إلى الناس كافة.

إن الكثـير مـن الأنبـياء بعثوا إلى قوم أو بقعة من الأرض وكانوا يدعون ويروجون إلى الرسالات العالمية أما خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم




فإنــه مبعوث إلى البشرية جمعاء وإلى يوم القيامة فلن يأتي بعده نبي، والدين الإسلامي يعتبر مكمل الأديان وشرعته باقية إلى نهاية الخليقة.

إن الدلــيل على نبوة الأنبياء هو مجيئهم بالمعجزات الخارقة للنواميس الطبيعية والمستمدة من القدرة الغيبية والتي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها.

ومــن المعجزات المشهورة للأنبياء صيرورة النار بردا وسلاما على إبراهــيم وإخــبار نوح الطوفان وعصا موسى واليد البيضاء وإحياء الموتى معجزة عيسى عليه السلام المعروفة.

ومــن معجــزات الرسول الأكرم وأهمها هي القرآن الكريم الذي لو اجتمعــت الخلائــق وكــان بعضــهم لــبعض ظهيرا على أن يأتوا بمثله لما استطاعوا وهي معجزة دائمة وخالدة إلى الأبد.

قــالوا إن عــدد الأنبياء مائة وأربع وعشرين ألف نبياً ولا توجد لدينا تفصيلات عن أسماء وحياة أكثرهم والذين لم يحملوا رسالات وشرائع وكتب.

فبالإضــافة إلــى الأنبــياء الخمســة أولى العزم لدينا معرفة بسيرة وحــياة خمســين مــن الأنبــياء ثلاثيــن مــنهم تعرض القرآن لبيان حياتهم وســيرتهم، وســيرة حياة البعض الآخر، تعرضت لها الكتب الأخرى إيجازا أو تفصيلاً.

وهــناك اخــتلاف فــيما روى عن حياة الأنبياء. فنرى أن الروايات الــواردة في نسخ التوراة والإنجيل تختلف عن الروايات الإسلامية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية وروايات المعصومين عليهم السلام.

أمــا مــا ورد في هذا الكتاب عن حياة الأنبياء وسيرهم فإنها روايات مشــهورة وردت في أغلب الكتب الإسلامية ومن بينها كتاب قصص الأنبياء للجويري والذي يعتبر من الكتب المشهورة.




وفـــي كتابنا هذا لا نريد كما أسلفنا أن نثبت شيئاً أو ندفع إشكالا فإن هــذا الأمر يختص بالكتب الكبيرة بل اعتمدنا التعرض لحياة الأنبياء من آدم عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وبشكل مختصر.



قصة الخلق

هناك تفاوت بين أسلوب الكتب الدينية وكتب العلوم المادية في تفسيرها لمسألة خلق الكائنات، فالذي يعتقد بالقرآن الكريم يرى أن القرآن يبحث عن القصد والهدف من خلق السماوات والأرض.

أما النظريات المادية حول الأرض والسماء فإنها خالية من أي هدف روحي، بل تبحث في كيفية انفصال الأرض عن الشمس وعن إمكانية وجود المخلوقات هناك، أما الهدف من الإيجاد فإن النظريات المادية قاصرة عن إعطاء الجواب على ذلك.

إذن هناك تفاوت بين الوجود والإيجاد. ففي الإيجاد تؤخذ بنظر الاعتبار ذلك المسائل الروحية والحقوق والواجبات والتكاليف والأحكام الإلهية وهنا يعتبر الإنسان أشرف المخلوقات، أما من وجهة النظر المادية فإن الإنسان يعتبر شأنه شأن أي مخلوق صغير مثل دودة الأرض. ولا يهمنا في هذا الكتاب التعرض لهذه الأبحاث فكما ذكرنا أن هدفنا أن نتعرض وبشكل مختصر لحياة الأنبياء.

أما قصة الخليقة فلها ارتباط بما نريد أن نبحثه باعتبار أن آدم عليه السلام أول المخلوقات وهو بداية الخلقة. وفي هذه القصص هناك مواضيع واضحة وأسرار غامضة لا يدركها إلا ذوو العلم والمعرفة فهناك عطاء من الحكمة والمعرفة في الكتب السماوية بالرغم من الاختلاف الموجود في تعبيراتها.

وهذه نبذة عما جاء في قصص الأنبياء فمن باب خلقة العالم لقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء وما بينهما في ستة أيام من أيام ذلك العالم الذي يعادل يومه ألف سنة من سني عالمنا هذا.



إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق العالم بطرفة عين ولكنه تعالى أراد من ذلك أن يعلم عباده الصبر في أعمالهم.

إن أول شيء خلقه الله سبحانه وتعالى هو القلم وإن كان ما موجوداً في هذا العالم قد خط بالقلم، والمدة بين خلق القلم وخلق السماوات والأرض تقدر بستة آلاف سنة، وخلق بين السماوات أنوارا وخلق من هذه الأنوار ملائكة تسبح وتهلل الله تعالى ولا تغفل عن ذكره لحظة واحدة وخلق الأرض من الماء وأمر الرياح أن تهب على الأرض والشمس أن تشرق على الأرض بنورها، ثم خلق الجن والملائكة من النار والدخان ثم لما اقتضت الإرادة الربانية بخلق آدم قال للملائكة: اعلموا بأنني سوف أبعث إلى الأرض خلقا من غير جنسكم أخلقه من التراب والطين وسيكون خليفتي في الأرض والحاكم فيها.

قالت الملائكة: إلهنا أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك؟

فجاء الجواب: أيتها الملائكة أنا أعلم ما لا تعلمون.

قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وأمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل بأن يهبط إلى الأرض ويأتي بقبضة من التراب. وهبط جبرائيل على أرض الكعبة فاهتزت الأرض تحت قدمه وقالت: أعوذ بالله أن يأخذ مني ترابا أخشى أن يُخلق منه مخلوق يقوم

١- سورة البقرة، الآية: ٣٠.




بارتكاب الذنوب ويستوجب العذاب وأنا لا طاقة لي على تحمل العذاب.

فعـــاد جبرائيل وقال: إلهي أنت أعلم أن الأرض أقسمت عليّ باسمك، وهبط ميكائيل أيضا وأقسمت عليه الأرض ورجع كذلك بيد خالية.

وبعدهـــا جـــاء الأمر إلى عزرائيل بأن يهبط ويأتي بقبضة من تراب الأرض فهـــبط عزرائيل إلى الأرض فأقسمت عليه الأرض بالله بأن لا يأخذ منها ترابا يخلق منه خلقا يعصي الله سبحانه وتعالى فيستوجب العذاب حيث لا طاقة لي على تحمل العذاب.

فقال عزرائيل للأرض: إنك تقسمين عليّ بمن بعثني وأمرني وهو يعلم كل شيء حيث أنني مأمور ومعذور.

ثـــم مد يده وأخذ حفنة من التراب ثم قال: يا رب أنت تعلم أنني أتيت بالتراب ولم أعتن بقسم الأرض علي لأن إطاعة أمرك عندي أوجب.

فجـــاء الخطاب: إنك الآن أصبحت مهيمنا على الأرض وسوف أخلق هـــذا التراب خليفة وأجعلك مسلطا على روحه لكي تقبض روحه عندما يحين أجله.

فقال عزرائيل: سيصبح عبادك أعدائي؟

فجاء الجواب: لا تخف سأبتلي كل واحد منهم ببلاء حتى لا يتخذونك عدوا.فمنهم من يفرط في الأكل والشرب ومنهم من يفرط في الشهوات ومنهم مـــن يـــنغمر فـــي طلب الجاه والرئاسة، ومن ذلك تنشأ الأمراض والأوجاع والحمى، ومنهم من يغرق ومنهم من يقتل في الحرب، وسوف يكون موت كل شخص نتيجة لعشوائية وعدم مبالاته لن يكون لك أحد منهم عدوا.

وجـــاءت المـــرحلة الأخـــرى حيث أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل وميكائـــيل وعزرائـــيل بأن يأتوا بالروح الإلهية لآدم، ولما أتوا بروح آدم في





طـبق مـن نـور إلى سماء الأرض اجتمعت الملائكة للنظر إليها، فأمر الله الملائكة بالطواف حول روح آدم سبع مرات قبل أن تلج في جسده.

ومـن تلك اللحظة بدأ إبليس بعصيانه فقال: إلهي إنك خلقتني من نار وجسمي لطيف لأنك خلقته من نار فكيف أطوف حول تمثال من تراب لا يعلم شيئا، أمهلني لكي أرى ماذا سيكون؟

وأمـر سـبحانه وتعـالى الروح بأن تلج الجسد الترابي لآدم ودخلت الروح وصار التمثال لحما ودما وعروقا وعظاما وتكونت الهيئة الآدمية، وقبل أن يكـتمل ولوج الروح في الجسد أراد آدم النهوض فقالت الملائكة: يبدو أن هـذا المخلـوق سيكون عجولا لأنه قبل أن يكتمل نصفه يريد القيام من مكانه وسرت الروح في كافة أعضاء جسمه ثم علمه الله الأسماء الحسنى بعدها أخذ آدم يسبح بحمد ربه شاكرا له.

وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بأن يسجدوا لآدم، وسجدت الملائكة بأجمعها إلا إبليس أبى واستكبر وقال: أنا لا أسجد لمخلوق خُلق من التراب.

وعـندما سأله الباري تعالى: ما منعك من السجود لمن خلقته بقدرتي ورحمتي ونفخت فيه من روحي؟

قال إبليس: أنا أفضل منه لأنه خلق من التراب وأنا مخلوق من النار.

فقـال لـه سبحانه وتعالى: ما دمت قد عصيت أمري فإنك ملعون وبعيد عن رحمتي إلى يوم القيامة.

قـال الله سـبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1] وقال تعالى في مقام آخر موبخا

١- سورة البقرة، الآية: ٣٤.





إبليس على امتناعه أن يسجد له بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[١]. فقال له اللعين: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢]. وورد في مكان آخر قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٣].

وقوله: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[٤]. وقوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٥].

روى في مجمع البيان عن طاووس ومجاهد أن إبليس كان قبل أن يرتكب المعصية، ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض، وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادا ولا أكثر علما منه، فلما عصى الله لعنه وجعله شيطانا وسماه إبليس يعني العاصي.

قال إبليس مخاطبا الله سبحانه وتعالى:

إلهي لقد عبدتك آلاف السنين وكنت من المقربين فأن أجر عبادتي لك؟ فأجابه الباري: أطلب ما تشاء.

فقال إبليس: أريد أن أبقى حيا لأنظر ماذا سيفعل هذا المخلوق.

فأجابه: سأمهلك إلى الوقت المعلوم.

١- سورة الأعراف، الآية: ١٢.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٢.

٣- سورة الأعراف، الآيتان: ١٦، ١٧.

٤- سورة الأعراف الآيتان: ١٤، ١٥.

٥- سورة الكهف، الآية: ٥٠.




فساوم الشيطان وقال: إلهي إن أبقى حيا ويبقى الإنسان حيا فهذا قليل بحقي لأني عبدتك آلاف السنين أريد أن تكون لي قدرة على أن أتكلم مع بني آدم وأتعرف على أفكارهم.

فكان إبليس أول من تكبر ومنّ بعبادته وساوم ونكث قوله الأول الذي طلب فيه الإمهال في الحياة فقط.

فأجابه تعالى: بأن لك ذلك.

عــندها قال إبليس: بما أمهلتني فسوف أغوي أبناء هذا الخلق الجديد إلا المخلصين منهم الذين لا أقدر عليهم.

فقال تعالى: إنك لا سلطان لك على الصالحين الصادقين وسأملأ جهنم مــنك وممن اتبعك إلى يوم الدين. ومن هذه اللحظة نشأت العداوة بين إبليس وبني آدم.

أما آدم فقد كان لوحده في الجنة فأخذه النوم وكان يبحث في نومه عن أنــيس له من جنسه. فخلق الله سبحانه وتعالى حواء من طينته وعندما استيقظ من النوم وجد حواء إلى جانبه، عندها خاطبهما تعالى بأن اسكنا في الجنة.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال أمير المؤمنين علي في نهج البلاغة: ثم أسكن سبحانه وتعالى آدم دارا أرغــد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته فاغتره عدوه نفاســة علــيه بدار المقام ومرافقة الأبرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه واســتبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه

١- سورة البقرة، الآية: ٣٥.




كلمة رحمته ووعده المرد إلى جنته وأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية.

يعتقد البعض بأن آدم وحواء مكثا في الجنة سبع ساعات، وقال البعض أنهما مكثا عدة شهور وذلك لأن الساعات في ذلك العالم تعادل أياما وكل يوم يعدل ألف سنة من سنينا والآن نتابع ما جرى لآدم عليه السلام.





آدم صفي الله عليه السلام

معجزات آدم:

١- خلقه.

٢- نفخ الروح فيه.

٣- علَّمه ربه أسماء كل شيء وأول ما تعلم من الأسماء أسماء الله الحسنى عز وجل.

٤- أسجد الله تعالى له الملائكة.

٥- لعن إبليس لأجله مع كثرة عبادته.





وإليك الخصائص التي خص عز وجل بها آدم عليه السلام

لقـد خلـق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه، وفي أحسـن صـورة وأقسم عليه فقال عز من قائل: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ولقنه الحمد حين عطس، ثم قال لـه يرحمك ربك، فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل، وأبـاح له جمـيع الجنة إلا شجرة واحدة، وعلمه الأسماء كلها، وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين، وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الأرض.

وعرف الملائكة فضله عليهم، ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته، وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبي وأول مصطفى وأول خلـيفة لله فـي الأرض، وهـو المميز للأرواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعـث يـوم القـيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه عليه السلام.





آدم صفي الله

يكنى آدم بأبي البشر ويلقب بالخليفة والصفي "ورد في زيارة وارث: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله" عندما سكن آدم في الجنة وحواء في الجنة أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يأكلا ويشربا ما شاء لهما ونهاهما عن الاقتراب من شجرة لأن الأكل منها يعتبر ظلما لأنفسهما.

وفي الجنة أشياء أربعة غير موجودة وهي: الجوع والعطش والعرى والمرض. وعندما رأى آدم الراحة والاطمئنان في الجنة قال في نفسه: إن إبليس في الأرض وأنا في الجنة ولا يستطيع أن يصل إلي، ولقد منعنا من الأكل من شجرة واحدة في الجنة وإذا لم نأكل من هذه الشجرة فنحن في أمان من عداء إبليس.

أما إبليس فإنه قرر أن يضل آدم وحواء ويخرجهما من الجنة لقد ذاق إبليس طعم عصيانه وهو يعلم أن العصيان يُذهب العزة والرحمة فمنع من دخول الجنة، وقد جرب الاحتيال أول مرة ليدخل الجنة فاستقر في فم حيوان ودخل، ومن لسان ذلك الحيوان وسوس لآدم وحواء **وقال لهما:** إن قلبي يحترق لحالكما لأنكما لا تستطيعان البقاء في الجنة.

قالا: لماذا؟!

قال إبليس: لأنكما ممنوعان من الأكل من هذه الشجرة وهي شجرة السعادة والخلود، وكل من يأكل منها يخلد في الجنة والذي لا يأكل منها فإنه سيخرج من الجنة، وأقسم بأنه صادق في قوله وهو أول من أقسم كذبا.

قيل: إن هذه الشجرة كانت شجرة تفاح أو حنطة أو عنب، لكن الطمع وغواية الشيطان دفعا آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة الممنوعة.




ورد في معاني الأخبار بإسناده إلى الهروي قال قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف فيها الناس فمنهم من يروي أنها الحنطة ومنهم من يروي أنها العنب ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد؟

فقال عليه السلام: كل ذلك حق، فقلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت: إن شجرة الجنة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة وفيها العنب وليس كشجرة الدنيا...[1].

وما إن دخلت الثمرة في حلقومهما نزع لباسهما وأصبحا عاريين في حين أنهما أعطيا عهدا بأن لا يجوعا ولا يعريا في الجنة، عندها علم آدم وحواء أن مصيرها آل إلى حال آخر فخجلا من حالة العرى وأخذا يستران بدنهما العاري من ورق الشجرة بحالة من الخوف والهلع.

وجاءهما الخطاب من الباري تعالى: ألم أمنعكما من أن تأكلا من الشجرة؟ ألم أقل لكما بأن الشيطان عدو لكما؟ الآن وقد عصيتما أخرجا من الجنة واهبطا إلى الأرض لتعيشا فيها بمعاناة وعداوة ومصاعب إلى أن يشاء الله، بعدها أخرجا من الجنة وهبطا على جبل (سرنديب) وبكى آدم أربعين يوما من الخوف والخجل والندم.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2].

والمشهور عن السادة الأطهار عليهم السلام من أن نزول آدم عليه السلام كان

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم -العاملي.

٢- سورة البقرة، الآية: ٣٦.





على الصفا ونزول حواء على المروة، ولكن المشهور عند جمهور المسلمين أن آدم عليه السلام هـبط علـى جبل (سرنديب) ويقال له (نود) أيضاً أما حواء فقد هبطت في جدة[١].

بعدهـا هبط جبرائيل إلى الأرض ومعه كمية من الحنطة أعطاها إياه وقـال: هـنا دار عمـل والأرض ليست كالجنة ازرع هذه الحنطة واحصدها واصنع منها العجين ثم اخبزه، وجاءه بالنار لكي يخبز الخبز، وبقي آدم على هذه الحال مائة سنة.

وفـي يوم جاءه جبرائيل بقطعة من الحديد وعلمه الحدادة والأعمال الشاقة لكي تصبح حياتهم أفضل وقال لهم: إن هذه عقوبة ذلك العصيان وإنكما لا تحصـلان علـى متطلبات العيش إلا من بعد مشقة وعناء ومرت على آدم مائـة سـنة وهو يبكي ندما ويطلب العفو من الله بعدها نزل جبرائيل عليه السلام وبشـره بقبول توبته فبكى آدم مائة سنة أخرى شكرا لنعمة قبول توبته ولأنه وعد بالجنة ولهذا فإن ابن آدم يبكي بعض الأحيان فرحا وأحيانا من الشوق.

وعاش آدم وحواء في عناء لأنهما تحملا مشقة إنجاز أعمالهم حيث لم تكـن وسـائل العمل والعيش متوفرة لديهما، واستطاعا شيئا فشيئا وبالتجربة والتفكير والتعليم الغيبي أن يوفروا وسائل العيش.

أبناء آدم

وضـعت حـواء توأمين: قابيل وأخته وهابيل وأخته، وقد كانت أخت قابيل أجمل من أخت هابيل، وهكذا فقد أنجبا مائة وعشرين ولداً.

الـوارد عن أهل بيت النبوة في أمر زواج آدم من حواء ما مضمونه

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم –العاملي.



هـو أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام من تراب ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، غلب عليه النوم، ففي حال نومه خلق الله تعالى حواء كما خلق آدم من طين من جنس طينة آدم أو من فاضل طينته، وجعلها إلى جانبه ملتصقة به.

فلما أوجد الله فيها الروح أخذت تتحرك فانتبه آدم إلى تحركها فنوديت أن تنحنـي عنه، فلما نظر آدم إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى فكلمها فتكلمت بلغته، فقال لها: من أنت؟ فقالت: خلقني الله كما ترى. فخاطـب آدم ربه وقال: يا رب من هذا الخلق الذي آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله تعالى: هذه أمتي حواء أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك؟ فقال آدم: نعم يا رب ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت.

فقـال الله تعالى: اخطبها مني لنفسك فإنها أمتي وإنها الصالحة للشهوة أيضـا. وقد ألقى الله عليه الشهوة، فقال: يا رب فإني أخطبها منك لنفسي فما رضـاك بذلك؟ فقال سبحانه وتعالى: رضائي أن تعلمها معالم ديني. فقال آدم لـك ذلك عليّ إن شئت ذلك. فقال سبحانه وتعالى: لقد شئت وقد زوجتك إياها علـى مـا شرطت عليك فضمها إليك. فقبل آدم بذلك ورضى ثم قال آدم لها: أقبلـي إليّ، فقالت: بل أنت أقبل إلي فأمر الله عز وجل آدم أن يقوم إليها فقام إليها، ولولا ذلك لكانت النساء هن يذهبن إلى الرجال ويخطبن لأنفسهن، وهذه قضية زواج آدم وحواء(١).

وعـندما بلغ أولاد آدم مبلغا من العمر لم يجدوا من يختارون للزواج، وهـنا صـدر الأمـر بأن يتزوج أنثى البطن اللاحق من ذكر البطن السابق، وبـالعكس فـلا يُحلـل للأخ أخذ أخته التي ولدت معه من بطن واحدة وبذلك

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم –العاملي.

أصبحت أخت قابيل زوجة لهابيل وبالعكس فإن أخت هابيل أصبحت زوجة لقابيل وبذلك صار أولادهم أولاد عمومة.

وطلب آدم أولاده وأبلغهم الأمر، لكن قابيل لم يستجب لهذا الأمر وقال: إن أخت هابيل غير جميلة. فقال آدم: لا مناص لنا إلا أن نمتثل لهذا الأمر وقد أبلغنا الله سبحانه وتعالى بأن الجمال شيء زائل ويجب أن يبقى هذا الأمر متعارفا لدى الناس لكي يرتبط الناس ويزداد التقارب في هذه الدنيا ولدرء الشك نلجأ إلى القرعة لتعلموا أن هناك فرقاً بين أمر الله سبحانه وتعالى وما تهواه أنفسنا. وأمر آدم أولاده بأن يأتي كل واحد منهم شيئا عزيزاً من كده يقربه قرباناً ويضعه في مكان مرتفع لنرى أيكما يُقبل قربانه فسيحظى بالجميلة من البنات.

وكان هابيل صاحب غنم فأتى بأفضل كباشه، وكان قابيل فلاحا فأتى بكمية رديئة من القمح ووضعا قربانهما في مرتفع من الأرض ودعا آدم ربه بأن تنزل النار وتحرق القربان المقبول كعلامة للقبول ونزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل ولم تقرب قربان قابيل، وإنما تقبل قربان هابيل لأنه جاء بأفضل كبش عنده بينما قابيل جاء بحنطة رديئة حيث إن الله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه الحيل وبعد ذلك تزوج هابيل أخت قابيل أما قابيل فقد تزوج أخت هابيل ولكن قابيل كان غير راض من الذي حدث وضمر لهابيل حقدا في قلبه وكانت أول عداوة بين أولاد آدم منشؤها النساء والجمال.

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ



أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[١].

ولكن الوارد عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام هو منع زواج الاخوة من أخواتهم وإنكاره أشد الإنكار، وأن سائلا سأل الإمام الصادق عليه السلام وقد أظهر السائل له من أن هذا الخلق كله أصله من الاخوة والأخوات.

فقال عليه السلام: سبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، أيقول من يقول إن الله تعالى جعل صفوة خلقه وأنبيائه من الحرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، والله لقد نُبِّئْتُ أن بعض البهائم تنكرت له أخته فنزى عليها فلما عرفها ونزل عن ظهرها وكشف له عن حقيقة حالها وأنها أخته أخرج ذكره ثم قبض عليه بأسنانه حتى انفصل ثم خر ميتا....

ثم أخذ يبين كيفية بدء النسل من آدم عليه السلام وذريته وأنه ولد قابيل فلما أدرك وبلغ أظهر الله تعالى جنية من ولد الجان يقال لها (جهانة) في صورة إنسية، فلما رآها قابيل أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من قابيل، ثم ولد لها هابيل فلما أدرك أهبط الله تعالى إلى آدم حورية من الجنة واسمها (نزلة) فلما رآها أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من هابيل ففعل ذلك، فكانت (نزلة) الحوراء زوجة لهابيل ابن آدم وكانت (جهانة) ابنة الجان زوجة لقابيل ابن آدم وكان النسل منهما...[٢].

١- سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣١.

٢- الأنبياء حياتهم وقصصهم -العاملي.





ويوما قال قابيل لهابيل: لقد وقع علي الظلم وغدا سيفتخر أولادك على أولادي بأن أبونا تقبل الله قربانه وأبوكم لم يقبل قربانه.

فقـال له هابيل: أنا لا دخل لي فيما جرى يا أخي وإذا ما بسطت يدك لـي لتقتلنـي فما أنا بباسط يدي إليك وإذا قتلتني فسوف تكون من الظالمين، وجزاء الظالمين نار جهنم. ولكن قابيل لم يكترث لكلام هابيل وأخذ ينظر إليه نظرة عداء ويبحث عن طريق للإيقاع به.

وفـي يوم من الأيام جاء إبليس بحجر وحية وألقى الحية على الأرض وأخـذ يضـرب رأسها بالحجر بمرأى من قابيل إلى أن قتلها، فتعلم قابيل من إبليس، واغتنم أول فرصة وانقض بالحجر على رأس هابيل ضربا حتى قتله، وتملكـته الحيرة ولم يدر ماذا يصنع كي يخفي جريمته حتى لا يطلع آدم على ذنبه، وفي الأثناء كان هناك غرابان يقتتلان حيث قتل أحدهما الآخر وحفر له حفـرة بمـنقاره وأخذ يواريه فيها، وتعلم قابيل من الغراب كيف يحفر حفرة ويدفن فيها أخاه هابيل حيث كان مضطربا وخائفا. وتفقد آدم هابيل وسأل عنه قابـيل فأجابـه: بأنه لا يدري وهو ليس مسؤولا عنه، لكن جبرائيل أخبر آدم بالأمـر فقـام آدم بطرد قابيل ونفيه وقال لـه: بما أنك ارتكبت جريمة القتل فسوف لن ترى الراحة والاطمئنان أبدا.

أمـا آدم وحواء فقد تملكهما الحزن لسنوات طويلة على ولدهما هابيل وقد سلط الله سبحانه وتعالى أولاد هابيل على قابيل.

وأمـا قابيل فقد ابتعد عن إخوانه وأخواته وبقي يبكي ندما وحزنا على فعلته. وأخذ إبليس يسلي قابيل بقوله: إن المشكلة نشأت من أن هابيل كان يعبد الـنار ولذلـك تقبلت النار قربانه وأنت إذا أردت أن تستقر بعد هذا فعليك أن تعبد النار، فخدعه بهذا الكلام وأصبح من عبدة النار وأخذ يدعو من يراه من




بني آدم لعبادة النار ومن ذلك الحين بدأت عبادة النار.

لقد جرب إبليس حيلته الكبرى ورأى أن أفضل طريق لإضلال الناس هـو أن يدعوهـم لعبادة شيء غير الله وإذا ما فعلوا ذلك عندها سيتقبلون كل شيء يعرض عليهم حيث أن الكفر يعتبر أرضية لنشر الفساد.

إن الوارد عن أهل العلم والعصمة والرسالة عليهم السلام ما مضمونه إن الله سبحانه وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يضع مواريث النبوة والعلم عند هابيل ويعلمه بما أمر الله تعالى به وما نهى عنه، فلما فعل ذلك وعلم قابيل بما جرى غضب واعترض أباه قائلا: ألست أنا الأكبر من هابيل وأنا الأحق بهذا الأمر ومن الأحرى ان تقدمني على أخي هابيل؟ فقال لـه: يا بني إن الأمر لم يكن بـيدي وأنـه بيد الله وأن الله تعالى هو الذي خصه بما فعلت ولم أفعله عن أمـري، فـإن لم تصدقني فقربا قربانا فأيكما تقبل الله تعالى قربانه فهو أولى بالفضـل وإعطـاء مواريث النبوة. وكان قبول القربان في ذلك العهد هو أن تنزلـه عليـه النار من السماء فتحرقه. وكان قابيل صاحب زرع فقرب قمحا رديـئا وكـان هابيل صاحب غنم فقرب كبشا سمينا فنزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل فغضب قابيل غضبا شديدا وأتاه إبليس اللعين ووسوس لـه وقـال: لو أتاكما ذرية وأولادا وكثر نسلكما فلا بد أن يفتخر أولاد هابيل علـى أولادك بقبول قربان أبيهم هابيل وعدم قبول قربانك وبأن الله تعالى قد خص هابيل بمواريث النبوة دونك، وهذا أمر يسبب القلق والذل لأولادك ولئن قتلـته قطعت نسله وأرحت أولادك من هذه المصائب وتحمل هذه الشدائد ولم يجـد أبوك من يخصه بالمواريث سواك فتفوز بفضلها، فسولت لـه نفسه قتل أخيه فقتله[1].

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم –العاملي.




وأمـــا آدم فكان عمره طويلا وعندما حضرته الوفاة بعد مرض طال واحـــدا وعشـــرين يوما جمع مجموعة من أولاده وأوصاهم بذكر الله واتباع الطريق المستقيم وخلف بعده ولده شيث ورحل من الدنيا وكان أولاده في ذلك الوقـــت قد انقسموا إلى مجموعتين أكثرهم يعبدون الله سبحانه وتعالى والباقي يعـــبدون النار، والذين يعبدون النار كانوا يعتبرون قابيل عالماً وكيساً، وكان شـــيث كلمـــا أسدى النصح لجماعة لجلبهم إلى الطريق المستقيم تضل جماعة أخرى ويقعون في حبائل الشيطان.

وقـــد دفن آدم في جبل قبيس وتوفيت حواء بعد سنة من وفاته ودفنت إلى جانبه، وبعد طوفان نوح نقل قبر آدم بيت المقدس.

وقـــد انقـــرض نســـل قابيل وسائر ولد آدم إلا نسل شيث، حيث كان الوصي والولي لآدم وخليفته من بعده[1].

١- قصص القرآن: ص ١٠-١٤.





شيث عليه السلام

النبي الثاني للبشر بعد آدم عليه السلام:

١- هو أول من تكلم العربية.

٢- أنزل الله تعالى عليه خمسين صحيفة لهداية من أرسل فيهم إلى صراط المستقيم.





حياة شيث عليه السلام

كان شيث أعلم بني آدم في عصره، وبوصية من آدم فإنه أصبح خليفته لهداية بني آدم.

وقالوا: عندما رحل آدم من الدنيا كان عدد أولاده وأحفاده قد بلغ الأربعين ألف نسمة، وانتشروا في أطراف الأرض التي كانت تتوفر فيها المياه والأراضي الخضراء، وكان قابيل ومن اتبعه يسكنون قريبا من اليمن. وأخذ شيث ينشر التعاليم الدينية التي أوصى آدم بنشرها بين عباد الله، ولكن مجموعة من عباد النار لم يذعنوا ولم يهتدوا واستمر الأمر كذلك إلى أن اصطفى الله سبحانه وتعالى شيثاً وأنزل عليه خمسين صحيفة ليدعو الناس إلى طريق الهداية والسعادة وقد أوضح لهم شيئا جديدا في زمان خلافته وآمن به جميع أبناء آدم عدا أتباع قابيل، ولكن أيام شيث كانت قصيرة وكان له ولد يدعى (أنوش) وكان عالما بصيرا بالأمور.

وعندما وصل أنوش إلى سن البلوغ توفي والده شيث فقام بنشر شريعة أبيه ومنهاجه وكان له ولد اسمه (قينان) وكان يدعو الناس أيضا لدين أبيه.

وكان لقينان ولد يدعى (مهلائيل) وكان أجمل أبناء آدم بالإضافة إلى أنه كان خطيبا بليغا، فأخذ يحرض الناس على العمل والعمران والصناعة حيث اتخذت الخلافة في أيامه رونقا خاصا. وكان الناس في ذلك الوقت يعتزون بدين مهلائيل فيأتونه بالهدايا من كل مكان ويطيعون أوامره مسرورين من أسلوب تعامله معهم في القول والعمل، وقد تقدمت في أيامه الصناعات وأخذ عصره يزدهر يوما بعد يوم. وعندما توفي مهلائيل واجه




أولاده صـــعوبات كثيرة في حياتهم حيث كان الناس يشتاقون إلى رؤيته. ولم يكـن أولاده بالمســتوى المطلوب من فن الإدارة فأخذ الناس يرتدون وسادت الفوضى في الأعمال واغتنم إبليس الفرصة وجاء إلى أبناء مهلائيل على هيئة شـيخ مجــرب حكيم وقال لهم: إن روح أبيكم غير راضية عنكم؟. فقالوا له: لمــاذا، قــال لهم: ألا ترون أن الناس يأتون من الشرق والغرب لزيارة أبيكم ويرجعون خائبين وأخذت الأمور تسير نحو الفوضى وأنتم لا تفكرون بحل.

قالوا له: ماذا نفعل؟

قــال: اصنعوا تمثالا في بيتكم يشبه شكل مهلائيل ضعوا عليه ستارا ولا تخبروا الناس بموته، قولوا لهم لقد أصبح شيخا هرما لا قدرة له على لقاء الناس والحديث معهم وذلك ليأتي الناس لزيارته ولا يقطعوا الأمل من وجوده وستحتفظون بمكانتكم وسترضى عنكم روح مهلائيل.

قالوا: كيف نفعل ذلك وليس لنا خبرة في فن النحت؟

قال: أنا أصنع لكم ذلك حيث أني أستاذ في فن التماثيل ولا أريد أجرا علــى عملي وما أطلبه هو رضا الله ولا غير. فصنعوا تمثالا لمهلائيل وفعلوا مــثلما قال لهم إبليس، وقد دخل السرور على أولاد مهلائيل لأن الناس أخذوا يــزورون تمثال أبيهم ويأتون له بالهدايا. عند ذلك أخذ الشيطان يلتقي كل يوم بجماعــة ويقــول لهــم: إن مهلائيل قد رحل من الدنيا وأنتم تزورون تمثالا لمهلائــيل فلمــاذا تقدمــون هذه الهدايا لأولاد مهلائيل اصنعوا عندكم تمثالا لمهلائيل وقدموا الهدايا لأولادكم بدلا من أن تقدموها لأولاد مهلائيل.

وبمــا أن الــناس يحبون الاقتصاد فاتبعوا توصيات إبليس لأنها كانت أقرب لما كانوا يحبون، ومن ذلك الوقت شاعت عبادة الأصنام وشيئا فشيئاً فَقَدْ فَقَــدَ أولاد مهلائــيل السيطرة على زمام الأمور وأخذ الشيطان يدير الأمور،




فانقسم الناس إلى مجاميع، مجموعة تعبد النار وأخرى تعبد الأصنام، ولم تزل في أذهان الناس الممارسات الجيدة التي اعتادوا عليها في عبادتهم لله سبحانه وتعالى.

وكان الشيطان يريد جرهم أكثر فأكثر إلى الفساد فعلم أحد أولاد قابيل صناعة الخمر وقال له هذا شراب نزل من الجنة ألا تراه كيف يبث النشوة في رأس شاربه، وقد راجت مسألة شرب الخمور ووسائل اللهو بشكل واسع وكانوا لا يعتنون بتعاليم آدم وشيث ومهلائيل واستمر الأمر كذلك إلى خلافة النبي إدريس عليه السلام.





إدريس عليه السلام

هـــو النبـــي الثالث للبشر بعد آدم وشيث عليهما السلام:

١- رفعه الله تعالى مكانا عليا.

٢- أحياه تعالى بعد أن قبض...

وجـــاء فـــي الخبر أن أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السـماء همـا إدريـس وعيسى عليهما السلام... واثنان في الأرض هما الخضر وإلياس عليهما السلام.





النبي إدريس عليه السلام

قـــال الله تعـــالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين، هو إدريس بن برد وقيل باريد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم، وأول مـــن خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله إلـــى ولـــد قابيل ثم رفعه إلى السماء وكان سبب رفعه إلى السماء على ما قالـــه ابـــن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إنـــي مشيت في الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد. اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها، فلما أصبح الملك وجد من خفـــة الشـــمس وحرها ما يعرف فقال يا رب خفف عني حر الشمس فما حال الـــذي قضـــيت علي فيه، فقال تعالى إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته إلى ذلك: فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلـــة فأذن الله له فكان إدريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكـــة علـــى ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك –لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها– قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهـــو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعه عـــند مطلع الشمس ثم أنه أتى إلى ملك الموت فقال له لي إليك حاجة فقال له أفعل لك كل شيء أستطيعه فقال: لي صديق من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجلـــه فقال ليس ذلك إلي ولكن أن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم في




نفســـه قال نعم فنظر ديوانه فأخبره باسمه وقال إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك؟ قال إني لأجده يموت عند مطلع الشمس، قال فإني أتيتك وتركته هناك فقال لــه فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات والله ما بقى من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا.

قال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جمـيعهم في زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فأذن لــه فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كـان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقـال لـــه فـي الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال أنا ملك الموت اســتأذنت ربــي أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك فقال لــه إدريس لي إلـيك حاجة قال وما هي؟ قال اقبض روحي فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحــه فقــبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال لــه ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون لــه أشد اســتعدادا ثــم قال لــه لي إليك حاجة أخرى قال وما هي؟ قال: ترفعني إلى الســماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن لــه في ذلك فلما قرب من النار قال لي إلـيك حاجــة قال وما تريد؟ قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى أراها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فستفتحها ففتحت لــه أبوابها فدخلها فقال لــه ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشــجرة وقــال لا أخــرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقــال لــه الملك مــالــك لا تخرج؟ قال لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وقد ذقته وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقد وردتها وقال تعالى:﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فلست أخــرج فقــال الله تعــالى لملك الموت دعه فإنه بإذني دخل الجنة وبأمري لا




يخرج فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة، والله أعلم.

إدريس عليه السلام

اســمه (أخنوخ) ويلقب بــإدريس وكان قريب الخطى إذا مشى، كثير الفكــرة وهــو أول من خط بالقلم وبعد ذلك فإن كل من يتعلم القراءة والكتابة يقال لـــه تعلم الإدريسية، وتسمية الدرس اشتقت من اسمه، وإدريس من أحفاد مهلائــيل وكان أنزههم وعندما بُعث نبيا نزلت عليه ثلاثين صحيفة بالإضافة إلــى ما نزل على آدم وشيث، وقد حدث تطور في حياة الناس آنذاك فأول من أمــر بمحاربــة الأعداء نزل على إدريس، وأول قحط حدث في زمانه وذلك لانصــراف الناس إلى اللهو وتركهم العمل فواجهوا الصعوبات بسبب تركهم طــريق الهدايــة. وقــد أمر إدريس الناس بالصيام وذلك لكي يخصص قوتا للفقراء من القوم ولكي تنتظم الأعمال، وهو أول من أسس المراسلات وعندما رأى توجه الناس إليه أخذ يدعوهم إلى الإيمان جهرا ويحثهم على ترك عبادة النار والأصنام، فآمنت به ثلة وعصت أخرى وكان العصاة من أتباع قابيل.

وطلــب إدريس من الله سبحانه وتعالى بأن يأذن له بمحاربة الضالين والقضاء عليهم وقد فعل ذلك، وبقى الناس لمدة طويلة يسيرون على الصراط المستقيم وكلما وسوس لهم الشيطان أجابوه بأننا لم نر سوءا من إدريس وكانوا يأتمــرون بأوامر إدريس. وذكروا أنه كان لإدريس ثلاثة وعشرون ولدا ماتوا كلهم في صغرهم عدا الأخير منهم وهو أصغرهم وكان يدعى (متوشلخ) حيث كان عالما حفظ ما جاء بالصحف الثلاثين التي نزلت على إدريس، وقد مرض (متوشلخ) في سن العاشرة فحزن إدريس كثيرا لهذا الأمر وقال لـــه جبرائيل: ادعو الله لسلامة ولدك.





فسأله إدريس: وكيف أدعو.

قال جبرائيل: سبح الله سبعمائة ألف مرة وعندها فسوف لا ترد لك دعوة وتستطيع أن تطلب لابنك عمر الخالدين.

قال إدريس: أحب أن يبقى ابني لهداية الناس لا لشيء آخر وإن الله سبحانه وتعالى لا يترك العباد بدون هاد. وقد طلب إدريس لنفسه عمر الخلود.

لقد سبح إدريس ربه سبعمائة ألف مرة وطلب شفاء ولده وعمر الخلود لنفسه فاستجيب دعاؤه.

وبعد أن وصل ابن إدريس إلى سن الرشد رأى إدريس غزرائيل فقال له: أنا طلبت من الله الخلود في الدنيا ولكن أحب أن أرى كيفية خروج الروح من البدن؟ فطلب عزرائيل إجازة من الله سبحانه لكي يقبض روح إدريس، فقبض روحه وأعادها إليه ثانية بأمر الله عز وجل.

بعدها طلب إدريس من عزرائيل أن يريه الجنة والنار، فأراه النار أولاً ثم الجنة، ولما رأى الجنة قال: ما أحسن هذا المكان الآن وقد اهتدى الناس وأنا ليس لي عمل بعد في هذه الدنيا حيث سيقوم ابني بمقامي وقد ذقت غصة الموت وإن الله سبحانه وتعالى قد أذن لمن دخل الجنة بعد الموت بالبقاء فيها.

فقال له عزرائيل: لا تستعجل جئنا معا ونعود معا، فوافق إدريس على كلام عزرائيل ورجع ناسيا عصاه في الجنة وبعد خروجهما من الجنة تذكر عصاه التي نسيها تحت شجرة طوبى فاستأذن عزرائيل ليرجع إلى عصاه، وبعدها لم ير عزرائيل إدريساً في الدنيا وعلى هذا الأساس





فقد قيل بأن إدريس بقي حيا وإن الله سبحانه وتعالى رفعه مكانا عليا.

قـــال تعـــالى في كتابه الكريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1].

١- سورة مريم، الآيتان: ٥٦، ٥٧.





نوح نجي الله عليه السلام
أطول الأنبياء عمراً

معجزات نوح:

١- إجابة دعوته.

٢- نجاته ومن معه في السفينة من المؤمنين يوم الطوفان...





نوح نجي الله عليه السلام

لقد قاد ابن إدريس (متوشلخ) الناس لسنين طويلة إلى طريق الهداية وبعد وفاته أخذ الناس يعبدون الأصنام وذلك بتأثر حيل الشيطان، وانتشر الفساد في الأرض، عندها اضطلع نوح وهو من أحفاد إدريس بدعوة الناس إلى التوحيد ولكن الناس لم يعطوا أذنا صاغية لدعوته.

واسم نوح (سكن) ولقبه كما ورد في الروايات (النجي) وكان يزاول مهنة النجارة. وعندما كان يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل والعمل الصالح كان يقول الناس: كيف ينصحنا عامل نجار.

وقد عانى من ضلالة قومه وكان يئن ويبكي حتى سمي نوحا وهو أطول الناس عمرا، ومن ثباته على الدين كان تمنى أن يأتيه أمرا أو معجزة لكي يصدقه الناس وكانت إرادة الله كذلك وعندما بعث نوح رسولا كان عمره آنذاك أربعمائة وسبعين سنة وكان يبدو شابا، وبالرغم من بعثته نبيا ونزول الوحي والكتاب لكن الناس لم يصغوا لنصائحه لأنهم كانوا في ضلال بعيد.

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١].

ونوح أول نبي من أولي العزم لأنه بعث إلى الناس كافة ولكن بالرغم من دعوته الطويلة المستمرة للناس فلم يؤمن به إلا القليل منهم ولذا فإن عدد الذين آمنوا به خلال مائة وعشرين سنة كانوا لا يتجاوزون

١- سورة نوح، الآيات: ١-٤.




الثمانيــن، وكان أتباعه يعانون العذاب والألم في مواجهتهم لأهل الضلالة من القوم.

وقــد أخــرج نوح وأتباعه عدة مرات من المدينة، ولكنه كان مواظبا بصبر وجلد على نصيحة قومه ويدعو الله لهداية قومه الذين كانوا يصرون في عنادهم وعدائهم لــه، وكلما دعاهم إلى التصديق بنبوته والانقياد لأوامره فإنهم كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم وينفضون من حوله كي لا يسمعوا وعظه، وأحــياناً فإن الناس يأتون بأولادهم ويشيرون إلى نوح بأنه كاذب وساحر فلا تســمعوا كلامـــه، وبما أنه ذو عمر طويل فيوصون أولادهم بضرورة إخبار أولادهم عنه.

واســتمر الأمر على هذا الحال إلى حد إذا أراد شخص أن يسمع كلام نوح ويتأمل به فإن الأعيان المتنفذين في المجتمع لا يسمحون له بذلك، وكانوا يفتعلون لنوح وقومه المشاكل كي يعزلوهم عن المجتمع.

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ۝ أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ۝ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ۝ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ۝ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ۝ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ




مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١]. ووصل الأمر إلى حد نفد معه صبر نوح ويئس من هداية قومه مع كل ما كان يتصف به من الصبر والتحمل والمقاومة. وأخذ يشتكي إلى الله مما لاقاه من قومه وقال: إلهي إنني سعيت مئات السنين ولم أجزع بالغرم من الصعوبات التي واجهتني ولم أبخل في هدايتهم ولكنهم لم يهتدوا إلى الطريق المستقيم.

اللهم لا تبق من الضالين على الأرض. فأخبره جبرائيل بأن دعاءك مستجاب وعليك بالصبر والجلد لمدة أخرى.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[٢].

إلى أن يقول: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ۝ وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾[٣].

وقال تعالى أيضا في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ

١- سورة هود، الآيات: ٢٥-٣١.

٢- سورة نوح، الآيات: ٥-١٢.

٣- سورة نوح، الآيتان: ٢١، ٢٢.





مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾(١).

لقد تعرضت لقصة نوح ثمان وعشرون سورة من سور القرآن الكريم فـــي ثلاثـــة وأربعين موضعا، وذكرت قصة نوح مفصلا في ستة سور منها: الأعــراف، هــود، المؤمنون، الشعراء، القمر وسورة نوح فكان فيها الشرح الوافـــي لأحوال نوح إليه السلام وهي متفقة المضمون في الجملة وإن تفاوتت في اللفظ وتغايرت بسبب سبك الكلام وصياغته.

فبعض تلك الآيات الكريمة تعطينا صورة خاصة من البيان في أحوال شيخ المرسلين وما تعرض له مع قومه، أن نوحا حينما بُعث رسولا إلى قومه وظهــرت علـــى يده المعجزات وظهرت كراماته وبزغ نور النبوة وشع فجر الرسالة وشمسها اتبعه ممن هداه الله إلى دينه بعد أن كانوا على عبادة الأصنام عاكفيــن وامتنع الأكثر وكذبوه واحتقروه ومن اتبعه واستغربوا جدا أن يبعث رجــل مــنهم هو أقلهم مالا ورجالا ودونهم صيتا، ويرون أنه لم يميز عنهم بحسب ولا نسب ولا علم ولا كرم بل هو منهم ومثلهم في ذلك، بل يرون أنهم هو الأولى والأمثل لمثل هذا لأنهم الرؤساء وأهل الثراء(٢).

وجـــاءه جبرائيل بأقلام من شجرة الساج وقال لـــه اشتل هذه الأشجار وإذا مـــا كبرت هذه الأشجار فسيأتي الفرج فإن الأمور لا تجري إلا بأسبابها، وبالصـــبر تحل كل المصاعب. وعلم نوح بأنه يجب عليه الصبر أربعين سنة لأن شـــجرة الســـاج تحتاج إلى أربعين سنة لتكبر، وبعد غرس الأشجار أخذ يخبر الضالين من قومه بقرب نزول العذاب عليهم.

١- سورة نوح، الآيات: ٢٦-٢٨.

٢- الأنبياء حياتهم قصصهم -عبد الصاحب الحسني العاملي.



وأخـذوا يجادلونـه ويقولـون لـه: إنك تريد الرئاسة علينا ونحن لا نرضاك رئيساً، والآن جئت تخوفنا بالعذاب، إذا كنت صادقا فيما تقول، فافعل ما أنت فاعل لقد ملئت آذاننا من هذا الكلام.

واستمر نوح بوعظ قومه وإرسال أتباعه إلى كافة أنحاء البلاد ليبلغوا رسـالته. وكـان قومـه يستهزئون به كثيرا والأعيان منهم يصفونه بالجنون ويوصون بعدم سماع وعظه.

ولمـا كـبرت الأشجار هبط جبرائيل وقال لـه: اقطع هذه الأشجار واصـنع منها سفينة. فقال لـه نوح: وكيف تكون السفينة؟ قال لـه جبرائيل: هيـئ الألواح حتى أعلمك كيف تصنعها، وامتثل نوح إلى الأمر وصنع سفينة ذات سـبع طوابق طولها ألف ذراع وعرضها أربعمائة ذراع، وكان كلما مر علـيه قومه يسألونه ماذا تصنع فيقول لهم أصنع سفينة النجاة. وسوف يرسل الله طوفانا يُغرق فيه المعاندين وينجي الصالحين فكانوا يضحكون ويستهزئون منه ويقولون من أين يأتي الماء الكثير لهذه الصحراء القاحلة، فيجيبهم انتظروا فسوف يأتي اليوم الذي نسخر فيه منكم.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(١).

ورد في بعض الروايات ما مضمونه: إنه لما أظهر الله سبحانه وتعالى نبوة نوح (عليه السلام) وأيقن شيعته بالفرج وغلبة أمره ونصرته على أعدائه الكفرة

١- سورة هود، الآيات: ٣٦-٣٩.


الملحدين، وكان كلما دعاهم نوح إلى دين الحق والعمل فيه وعبادة الحق تعالى ثاروا عليه وتوجهوا نحوه بالأذى والإضرار به وبقومه وذلك ضمن مدة ثلاثمائة سنة من مبعثه وهو في خلال ذلك طيلة هذه المدة يدعوهم ليلا ونهاراً فينفرون منه ثم يدعوهم سرا فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيعرضون كبرا وعتوا ولا يكترثون به وبدعوته، فهم بعد مضي هذه المدة بالدعاء عليهم بالهلاك والدمار، هبط عليه ملائكة من الله يأمرونه بتأجيل الدعاء عليهم والصبر والتحمل إتماما للحجة، ثم استأنف العمل معهم والدعاء لهم إلى طاعة الله تعالى وأخذ في ترغيبهم ونصحهم وإرشادهم إلى مثل ما كان معهم أولا إلى مدة ثلاثمائة سنة أخرى، حتى إذا انقضت هذه المدة ويئس من إيمانهم توجه للدعاء عليهم بالهلاك، وإذا بوفد من الملائكة نزلت عليه من قبل الله تعالى تأمره فلم ينفع معهم شيء وقد نفد صبر شيعته ومواليه فصاروا إليه وشكوا ما هم فيه وما نالهم من عامة الناس والطواغيت، ثم سألوه الفرج والدعاء بالفرج فأجابهم إلى ذلك ثم توجه إلى الصلاة والدعاء عليهم فهبط عليه جبرائيل عليه السلام من قبل الله تعالى وقال له إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك في قومه ولكن قبل تنجيز الأمر فيهم يريد الله منك أن تأمر مواليك وشيعتك والتابعين لك أن تغرسوا نوى التمر فإذا كبر فرج الله عنهم ثم عرفهم كيف يصنعون فاستبشروا عندما علموا أن الفرج قريب.

وكان سبب التأخير هو التمحيص والتصفية وإخراج أهل النفاق أو أهل الإيمان المستودع.

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال: ((إنه لما أراد الله أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى إليه أن يشق ألواح الساج وهو شجر عظيم جدا لا ينبت إلا ببلاد الهند وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه كما في أقرب الموارد،



فلمـــا شقها لم يدر ما يصنع بها فهبط عليه الأمين جبرائيل عليه السلام فأراه هيئة السـفينة ومعه تابوت فيه مائة وتسعة وعشرون ألف مسمار فسمر المسامير كلها فكانت قدر الحاجة للسفينة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل عليه السلام أن يعلم نوحا كيف يصنعها، فقال نوح يا رب من الذي يعملها ويصنعها ويعينني علـــى إتمامها واتخاذها فأوحى الله تعالى إليه أن ينادي في قومه وعامة الناس وأهل العمل ويدعوهم إلى العمل ويبالغ في أجورهم وإكرامهم، فنادى نوح في قومـــه وأعلمهـــم أنه من اشتغل معي بنصح وأمانة حسب ما آمره فله الجزاء الجـــزيل والأجر البالغ الكثير فأجابوا وباشروا في العمل كل فرد حسب حاله ومهنـــته ومهارته وحرفته فأعانوه على صنعها وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة في البر))[١].

وعندما اكتمل بناء السفينة أتم نوح الحجة على قومه وقال لهم: كل من يؤمن بالله يلتحق بنا قبل فوات الأوان فإن الله لا زال يقبل توبتكم وإذا ما جاء الطوفان فلا ينجو منه إلا المؤمنون، ومع ذلك كانوا يستهزئون به.

وعـــندما جاء الأمر الإلهي إلى نوح إنه سوف نهلك الكافرين ولم يبق منهم أحد إلا من يتوب من عبادة الأصنام ويؤمن بالله الواحد الأحد. فأدخل في السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وفي يوم كانت فيه امرأة نوح تخبز الخـــبز فإذا بها ترى الماء ينبغ من التنور فأخبرت نوحا بذلك فقال عليه السلام:إن وعد الله حق. وبدأ الطوفان ودعا نوح الناس للإيمان وللمرة الأخيرة ولكنهم لم يســـتجيبوا دعوتـــه وقالوا: إننا لا نخاف من الماء، واستمر المطر من السماء وانفجـــرت العيون من الأرض أربعين يوما بأيامها ولياليها وغُمرت الأرض بالمـــاء، واســـتقر نـــوح ومعه ثمانين من الذين آمنوا معه من رجال ونساء،

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم -العاملي.



وارتفعت السفينة على الأرض ونصحهم بأن يتوبوا فما زال باب التوبة مفتوح وقال لهم: أرأيتم كيف نزل العذاب؟ فقالوا: إن الجبال عالية ونلجأ إلى قممها ولا نتحمل منة نجار ولا نتراجع عن معتقداتنا. وكان ابن نوح من الكافرين وكلما نصحه نوح فلم يفد فيه النصح وكان يجيب أباه: إننا شباب وسنلجأ إلى قمة الجبل.

فقال له نوح: لا ينجو إلا من ركب معنا في السفينة، ولكن ابنه لم يسمع كلامه وفي الأثناء ارتفع الموج وأصبح حائلا بينه وبين ابنه، ورق قلب نوح على ابنه وخاطب ربه: رب إن ابني من أهلي.

فأجابه تعالى: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾.

وغمرت المياه اليابسة وطفت السفينة على الماء وغرق كل من في الأرض من مخلوقات من بني آدم وحيوانات ووصل الماء إلى أربعين ذراعا فوق قمم أعلى الجبال وبقيت سفينة نوح طافية على الماء ستة أشهر، وكان لا يرى إلا الماء يغمر الأرض وقويت قلوب المؤمنين بالله عندما تجلت لهم عظمته فكانوا يحمدون الله على هذه العظمة، ولما انقضى الأمر انقطع المطر وابتلعت الأرض مياهها واستقرت سفينة نوح على جبل الجودي.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ



أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

وبعد مدة عاد الناس ثانية ينتشرون على الأرض وتطهرت الأرض من الضلالة والكفر وبدأ الناس يتناسلون إلى أن ازداد عددهم، بعدها التقى نوح بإبليس وكان إبليس ضاحكا ومسرورا.

فقال نوح لإبليس: لماذا تضحك. فأجابه: أنا أضحك من عملك كيف أغرقت هؤلاء الكفرة وذهبوا إلى نار جهنم ليكونوا من أنصاري، واغتم نوح من كلامه ودعا عليه باللعنة، فقال إبليس: وهل يوجد أكثر من اللعنة فإني ملعون والآن وقد أصبح عملي قليلاً ولا أخشى على أحد من التوبة فأنا مستعد أن أجيبك إجابة صحيحة على سؤال تسألني إياه، فسأله نوح: إذا كنت صادقا فقل لي أي الصفات تجعل الناس جهنميين أكثر من غيرها.

فأجابه الشيطان: أربعة أشياء:

الأولى: الحسد، فإني عبدت الله سبعين ألف سنة ولكن الحسد منعني من أن أسجد لآدم وذهب أجري أدراج الرياح.

الثانية: الكبر – فعندما سألني الله لماذا لم تسجد لآدم، قلت له: أنا

١- سورة هود، الآيات: ٤٠-٤٨.


أفضل منه، وهذا ناشئ من الكبر وحقت علي لعنة الله ولعله لو انتحلت عذرا آخر فإن باب العفو لا يسد بوجهي.

الثالـــثة: الحــرص، فإن آدم حرص على أن يأكل من الشجرة ولو لم يفعل ذلك لبقي في الجنة وكان آدم يأكل من كافة نعم الجنة ولكنه من حرصه لم يمتنع من الأكل من الشجرة الممنوعة فأوقع نفسه وأبناءه في العذاب.

الــرابعة: الــركون إلـــى عبادة الجمال بدل الإحسان، فقد نسي قابيل الإحسان وفي سبيل الحصول على الجمال وضع أساس الضلالة في الدنيا.

وقـــد عمر نوح تسعمائة وخمسين سنة، وقال البعض: إن نوحا توفي بعد أربعين سنة من الطوفان.





هــود عليه السلام

قومـــه عـــاد ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

معجزة هود:

أهلك الله عز وجل قومه بالريح الصرصر العاتية ونجاه سبحانه ومن معه من المؤمنين.





هـــود عليه السلام

هو حفيد سام بن نوح ومن نبوة نوح إلى نبوة هود لم يبعث الله أنبياء، وقــد أرســل هود ليدعو قوم عاد إلى عبادة الواحد الحق حيث كانوا يعبدون الأصنام.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾(١).

وكــان زعــيمهم يدعــى عاد وهو رجل قوي وقومه مرفهين منعمين يعيشــون بعــيدا عن الأقوام الأخرى، وقد جاءهم الشيطان يوما ليسألهم: ماذا تعبدون؟

قالوا: لقد سمعنا بأن نوحا كان نبيا عظيما ودينه دين الحق.

قــال الشــيطان: إن العظمة والصغر ليست مقياسا، العظيم من عرف الحــق، المهم إن الناس عندما استهانوا بعبادة الأصنام استحقوا الطوفان، وإذا كنــتم تطلبون السعادة فيجب أن تعبدوا أصنام سفينة نوح، فأخرج لهم من بين الرســوبات الطينــية لطوفان نوح أصناما حجرية وقال لهم: إن هؤلاء عندما كانوا محترمين لم يأت الطوفان فلما استهانوا بهم جاء الطوفان ودمر كل شيء ولكــن هــذه الأصنام بقيت سالمة، وكان نوح قد اتخذ صنما كبيرا وضعه في الســفينة وكان يدعو الناس إلى عبادة الله ولو كانت هذه الأصنام محترمة لما جاء الطوفان. فخاف عاد وقومه من كلام الشيطان ولجأوا إلى عبادة الأصنام خشية وقوع طوفان آخر وكانوا منقطعين عن الأقوام الأخرى.

١- سورة هود، الآية: ٥٠.





أما هود فقد كان يعيش بين هؤلاء ويتألم من انحرافهم وضلالتهم ولما انتشـر الفسـاد بعثه الله لهدايتهم. ولما أعلن دعوته لم يستجب لـه قوم عاد وقـالوا لـه: إنـا لا نراك إلا شخصا صالحا ونحن نخاف من الطوفان ولا نستطيع ترك آلهتنا.

قـالوا: إن هذه الأصنام أفضل لنا لأنها لا تأتي بالطوفان وأنت جعلت من عبادة الله حجة تطلب بها الرئاسة علينا. قال هود: أنا رسول الله إليكم ولا أطلب منكم شيئا وأريد أن تنهجوا طريق العدالة والصلاح لتسعدوا في حياتكم.

قـالوا لـه: إنـك منا ونحن نكن لك الحب والاحترام لو تركت هذا الكلام وعشت كواحد مثلنا.

قال لهم هود: أتعجبون أن يبعث الله نبيا من بينكم يهديكم إلى الطريق المسـتقيم ويـريد أن تكونوا خلفاء عباد الله بعد نوح وأتباعه وتكونوا أفضل الناس.

قالوا لـه: إن أي شخص يستطيع أن يدعي ادعاءك هذا، وإلى الآن لم يـر أحـد مـنا إلهـك وإذا كنت صادقا فأتنا بدليل على ادعائك وإذا استمر إصـرارك علـى هذا الكلام فسوف نخرجك من بيننا نحن الآن نعمل ما نريد وأنت تقيدنا في أوامرك ونواهيك وتمنعنا من لذائذ العيش في حين أن الأصنام لا يفعلون ذلك.

قـال تعـالى يصور حال قوم هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ





رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[1].

وعندما يئس هود من هداية قومه لما رآهم قد اتبعوا أهواءهم ولا يسمعون قول الحق ولا ينتهون من فعل الباطل قال لهم: إذا أصررتم على الضلالة فإنكم لا تضورن الله شيئاً وسوف يستبدلكم بأحسن منكم.

ودعا هود ربه فأرسل عليهم ريحا شديدة البرد وأهلك الكافرين من القوم ونجا هو وبعض من آمن وقطع دابر الفساد في الأرض.

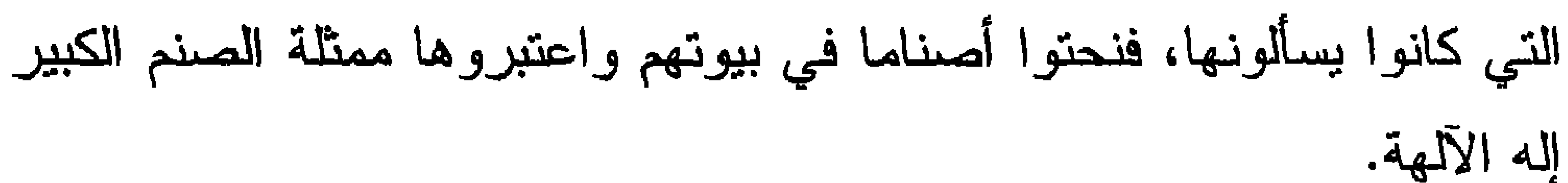
قال تعالى في كتابه الكريم يصف هذا الحادث: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[2].

وتوفي عليه السلام هود بعد مرور سبع وعشرين سنة على هلاك قومه. واستمر إبليس في غوايته للناس وعندما رأى أن قوم ثمود أكثر استعدادا للغواية من الأقوام الأخرى ذهب في أوساطهم وصنع لهم صنما وحفر تحته نفقا وكان يدخل تحت الصنم ويتكلم مع الناس فيأمر وينهى ويقول لهم ما يخيفهم أو يبعث في نفوسهم الرجاء والأمل، وشيئا فشيئا شغف حب الصنم الحجري قلوبهم وقالوا: عجبا حجر يتكلم إن هذا يعني شيئا. فصنعوا أصناما على غرار ذلك الصنم الكبير وانتحل صفة إله الآلهة فأخذ يجيبهم على أسئلتهم

١- سورة هود، الآيات: ٥٢- ٥٧.

٢- سورة هود، الآيات: ٥٨- ٦٠.





التي كانوا يسألونها، فنحتوا أصناما في بيوتهم واعتبروها ممثلة الصنم الكبير إله الآلهة.

جاء في تفسير علي بن إبراهيم: إن عادا كانت بلادهم في البادية وكان لهم زرع ونخل كثير وكانت لهم أعمار طويلة وأجسام طويلة فعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم هودا يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا وكان هود مزارعا وكان يسقي الأرض فجاء قوم إلى بابه يريدونه فخرجت إليهم امرأة شمطاء عوراء فقالت لهم: من أنتم وماذا تريدون؟ فقالوا لها: نحن من بلاد كذا وكذا جدبت بلادنا وقحطنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله تعالى حتى تمطر وتخصب بلادنا.

فقالت لهم: لو استجيب لهود لدعا لنفسه هذه بلاده أجدبت وجئنا لتدعو لنا الله وتسأله أن يمطر على بلادنا فلما سمع منهم وعرف حاجتهم قام فصلى ودعا الله تعالى لهم، ثم قال لهم: ارجعوا إلى بلادكم فقد أمطرتم، فقالوا له ما صادفوه ولاقوه من تلك المرأة في بيته فقالوا: يا نبي الله رأينا في بيتك عجبا امرأة شمطاء عوراء وحكوا له ما جرى لهم معها وجوابها لهم فقال عليه السلام: هي امرأتي وأنا أدعو الله لها بطول البقاء. فقالوا: وكيف ذلك فقال لهم: لأن الله ما خلق مؤمنا إلا وله عدو يؤذيه وهي عدوي فلأن يكون عدوي ممن أملكه خير من أن يكون عدوي ممن يملكني.

فبقي هود عليه السلام في قومه يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة الأوثان كي يسعدوا في الدنيا والآخرة فتخصب بلادهم وتكثر أرزاقهم ويفوزوا بنعيم الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ


قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١] فلما لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر وهي الشديدة البرد وهو قوله تعالى في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[٢] وفي سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٣] فحسوم أي متتابعة وكانت أول الثمانية أيام أربعاء وآخرها وهو النحس المستمر[٤].

ولقد بلغ الانحراف بقوم عاد أن أشركوا بالله وعبدوا الأصنام فكانوا بذلك أول من عبد الأصنام بعد الطوفان فأرسل الله لهم هود عليه السلام وأخذ هود عليه السلام يبشر بالتوحيد شأنه شان الأنبياء جميعا وكان موقف السادة الكبراء أو على حد تعبير القرآن الكريم كان موقف الملأ الذي كفروا من قومه العداوة والبغضاء والرمي بالسفاهة والكذب وفشوا في الأرض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قواهم التي آتاهم الله تعالى وقد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أي عظما وطولا وقوة وشدة.

ولم ييأس هود عليه السلام منهم وإنما أخذ يذكرهم بنعم الله الظاهرة والبطانة التي يتقلبون فيها والتي تستوجب منهم الحمد والشكر لله سبحانه

١- سورة هود، الآية: ٥٢.

٢- سورة القمر، الآيتان: ١٨، ١٩.

٣- سورة الحاقة، الآيتان: ٦، ٧.

٤- الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبد الصاحب الحسني العاملي.




وتعالى.

ثم هددهم هود بالقانون الإلهي الثابت وهو أنهم إذا أعرضوا ورفضوا واستكبروا فإن عقاب الله سبحانه وتعالى نازل بهم وتلك سنة الله في خلقه.

ومـــع هـــذا التهديد من هود عليه السلام لهم فلم يستجيبوا لتهديده واستمروا يتابعون أهواءهم فيبنون على الروابي والمرتفعات قصورا هي آيات في الفن.

وظلـــوا ســـائرين في غيهم لا يستجيبون لنداء الحق ولا يرجعون عن الـــباطل. بـــل تمادوا في باطلهم وعنادهم وسخروا من هود عليه السلام ومن اتبعه وأعلنوها صريحة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[1].

وطلـــبوا من هود عليه السلام أن يعجل لهم العذاب الذي وعدهم به بعد هذا التحدي منهم لم يبق لهود عليه السلام إلا قبول التحدي. والتوجه إلى الله وحده. لم يبق أمامه إلا إنذار أخير ينطوي على وعيد للمكذبين وتهديد.

وهكـــذا فقد توكل على الله والله هو القوي بحق وهو الآخذ بناصية كل دابـــة فـــي الأرض سواء الدواب من الناس أو دواب الوحوش أو الحيوان لا شيء يعجز الله سبحانه وتعالى.

وهـــو في حديثه لهم يفهمهم أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة التي أرسل لهم بها وما داموا على هذا العناد والاستكبار فسوف يستخلف الله قوما غيرهم سوف يستبدل بهم قوما آخرين وهذا معناه أن ينتظروا العذاب الذي سيقع بهم مـــن عـــند الله وهـــذا قـــانون من قوانين الحياة يعذب الله الذين كفروا برسله وكذبوهـــم وسخروا منهم مهما يكونوا أقوياء أو أغنياء أو جبابرة أو عمالقة. فانتظر هود عليه السلام وانتظر قومه وعد الله.

١- من الآية رقم (٣٧) من سورة المؤمنون.





معجزة هود عليه السلام ونجاته من الريح العقيم التي أهلكت قومه

قـال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقـال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية من القرآن الكريم وأما تفصـيل إهلاكهم فلما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا ممحلين سنتين فطلبوا السقيا فرأوا عارضا في السماء وظنوه سقيا رحمة فـإذا سقيا عذاباً ولهذا قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ أي من نوع العذاب وهو قولهم: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وقد ذكر المفسرون وغيرهم الخبر الذي ذكره الإمام محمد بن إسحاق ابـن بشـار قـال: فلما أبوا إلا الكفر حبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فبعثوا إلى مكة وفدا يستسقي لهم. وكانوا سبعين رجلا منهم قيل ونعيم وجُلهمـة ولقمـان بن عاد ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم إيمانه وكان



الناس مؤمنهم وكافرهم إذا جهدوا سألوا الله تعالى عند الكعبة فنزلوا على بكر بن معاوية وكان خارجا من الحرم فأكرمهم وكانوا أصهاره وأخواله وكان سكان مكة العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح فجعل بكر يسقيهم الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى بكر طول مقامهم عنده قال: هلك أخوالي وأصهاري هؤلاء ضيفي فما أدري ما أصنع وأستحي أن آمرهم بالخروج فشكا ذلك إلى قينتيه الجرادتين فقالتا: قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال:

ألا يا قيل ويحك قم فيهم ... لعل الله يمنحنا غماما
فتسقي أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... وقد أمست نساؤهم عيامى[1]
وإن الوحش تأتيهم نهارا ... ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لُقوا التحية والسلاما

* * *

فلما سمعوا هذا قالوا: ويحكم أدخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد: إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فقال جلهمة: احبسوا عنا هذا ولا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود ثم خرجوا يستسقون فنشأت ثلاث سحائب: بيضاء، وحمراء، وسوداء ثم نودي منها يا قيل اختر فقال: أختار السوداء لأنها أكثر ماء وقيل للوفد اختاروا فقال مرثد: يا رب أعطني صدق وبرا فأعطي وقال لقمان بن عاد أعطني عمراً فأعطاه.

١- وهي العطشى.



وأما السحابة السوداء فساقها الله، فقال إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له مغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾.

فكان أول من رأى ما فيها امرأة منهم فصاحت وصعقت فقيل لها: ما رأيت؟ فقالت: ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودنها فسخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي متتابعة ابتدأت غدوة الأربعاء آخر أربعاء في الشهر وسكنت في اليوم الثامن.

واعتزل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم منها إلا ما يلين الجلود وتلتذ عليه النفوس فكان الريح تقلع الشجرة وتهدم البيوت وترفع الرجال والنساء بين السماء والأرض فتدق رقابهم فيبين الرأس عند الجسد فذلك معنى قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1] ثم تدفعهم بالحجارة قال عمر بن ميمون: كانت الريح تحمل الظعينة[2].

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أول من عرفوا أنه عاب رأوا ما كان خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح ففتحت أبوابهم وهالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم قبضت أرواحهم وطرحتهم الريح وألقوا في البحر ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [3].

وقال مقاتل: بعث الله طيرا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم في البحر[4].

١- من الآية رقم (٧) من سورة الحاقة.

٢- المرأة في الهودج ثم قيل للمرأة وهي في بيتها ظعينة.

٣- من الآية رقم (٢٥) من سورة الأحقاف.

٤- التبصرة: لابن الجوزي، تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد، ط الحلبي.





عـن عمـرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أوحى الله تعالى إلى الـريح العقـيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم لـه منهم فخرجت بلا كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض مما يلي المشرق والمغرب قال فقـال الحـزان: يـا رب لن يطيقوها ولـو خرجت على حالها لأهلكت بين مشـارق الأرض ومغاربها فأوحى الله تعالى إليها: أن ارجعي فاخرجي على قـدر خرقة الخاتم وهي الحلقة قال: فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسـوما أي دائمـة متتابعة فلم تدع أحداً من عاد إلا أهلكته وكان هود عليه السلام ومـن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلتذ به الأنفس وأنهـا مـن عاد لطعن لهم وهلاك فتحملهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا.

قال ابن بشار: لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم. أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيـندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1].

لـم يعد باقيا من قوم هود إلا ما يبقى من النخيل الميت مجرد غلاف خارجي لا تكاد تضع يدك عليه حتى يتطاير ذرات في الهواء ونجا هود عليه السلام ومن آمن معه وهلك الجبابرة ونزل الستار على قوم هود.

عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به

١- من الآية رقم (٧) من سورة الأحقاف.




وأعــوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)) قلت: وإذا عببت [١] السـماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلـك عائشة فسألته فقال: ((لعله يا عائشة كما قال قوم عاد)) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [٢]. وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن وذكر آخرون أنه بدمشق وبجامعها مكان في حائطه القبلي يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام.

١- أي أصابهم غيم.

٢- رواه الترمذي وابن ماجه.





صالح عليه السلام

قومــــه ثمود: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

معجزة صالح:

الـــنـاقـــة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾





صالح عليه السلام

صالح عليه السلام من قوم ثمود وإلى أن بعثه الله نبيا لم يبعث نبي بعد هود وكان يشكو إلى ربه ضلالة قومه ويقول:

إن الفساد والضلال مثل الوباء والطاعون ينتقل كلم يوم بالعدوى إلى مجموعة من الناس، فكان همه نصيحة الناس ووعظهم إلى أن بعثه الله نبيا.

ولأنه كان يعلم بقدرته على إبلاغ رسالات الله جاء إلى قوم ثمود وأخذ يدعوهم جهرا للإيمان بالله.

فقال لـه قوم ثمود: ماذا تدعي أنت، إن لدينا صنما يتكلم فهل تستطيع أنـت أن تجعل الحجر يتكلم، إذا كنت صادقا فأتى بمعجزة أكبر من هذه، هل تستطيع إحياء الحجر.

قال لهم صالح: إن الله الواحد الذي لا مثيل لـه بقادر على كل شيء وإذا شاء الله فإني أستطيع أن أجعل من الحجر والخشب كائنا ذا روح.

قالوا لـه: إذا كنت تستطيع فأخرج لنا من هذا الجبل ناقة بحيث يمكننا أن نشرب منها لبنا، وإذا ما تمكنت من هذا الأمر فسنعلم أنك تمثل شيئا.

فقال لهم صالح: بشرط أن تؤمنوا بالله وتكسروا الأوثان والتماثيل ولا تؤذوا الناقة أو تقتلوها وإذ نكثتم عهدكم فاستعدوا لوقوع العذاب.

فوافقوا على ذلك ظنا منهم أن صالحا لا يستطيع أن يأتي بهذه المعجزة. ولكن بإرادة الله ودعاء صالح خرجت الناقة من الجبل وانقسم قومه إلى طائفتين حيث آمنت به ثلة قليلة وأصر القسم الكبير منهم على عنادهم وقالوا: إن صالحا ساحر وإن الناقة ليست حقيقية بل هي جن.

وعندما تجلت معجزة صالح للعيان خاف ثمود وكان سيد قومه على



ضـياع رئاسـته فـأخذ يحـذر الناس من صالح ويقول لهم: إن هذا الرجل يخدعكـم وسوف ترون ماذا سيحل بكم، حيث ستشرب الناقة كل ما ينبع من ماء فتجف البساتين والمزارع.

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (١).

في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام ما مضمونه: أن صالحا بعث إلى قومـه وهو ابن ست عشرة سنة فلبث حتى بلغ مائة وعشرين سنة لا يجيبونه إلـى خير، وكان لهم سبعون صنما يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قـال لهم: يا قوم إني بعثت إليكم وأنا ابن ستة عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائـة سنة وأنا أعرض عليكم أحد أمرين إن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتموني، فقالوا لـه: يا صالح سل من شئت منهم. فقال لكبيرهم باسمه: يا فلان أجبني، فلم يجبه، فقال صالح: ما لـه لا يجيبني؟ فقالوا لـه: سل غيره فأقبل على أصنامهم يسألها واحدا بعد واحـد فلـم تجـبه فقـال لهم: يا قوم قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة فانتدب لـه منهم سبعون رجلا من

١- سورة هود، الآيات: ٦١-٦٤.


كبارهم وهم وجوه القوم وقالوا لـــه: إن أجابنا ربك فلا يخالف من قومنا أحد ثم مضوا معه إلى جبل في قربهم حسب طلبهم فلما انتهوا إليه قالوا: يا صالح ادع لـــنا ربـــك يخـــرج لنـــا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبراء عشـــراء (أي شديدة الحمرة والوبر والعشراء التي عليها الحمل عشرة أشهرة) فقـــال لهـــم صـــالح: لقد سألتموني شيئا يعظم عليّ ويهون على ربي سبحانه وتعـــالى ثم إنه بمجرد ما سأل صالح ربه عظمت آلاؤه انصدع الجبل صدعا كـــادت أن تطـــير منه عقولهم عند سماع انشقاقه وانفلاقه ثم اضطرب الجبل وارتعـــش ارتعاشـــا شديدا كالمرأة إذا أخذها المخاض والطلق عند الولادة ثم ظهـــر رأسها من ذلك الصدع وأخذت تخرج حتى استوت قائمة على الأرض فلمـــا رأوا ذلـــك قالوا لـــه يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك ادع لنا ربك أن يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك فرمت به من بطنها فدب حولها، فقال لهم: يا قـــوم أبقـــي شيء؟ فقالوا: لا. ثم إنهم انطلقوا معه إلى قومهم والناقة وفصيلها معهـــم فقـــبل وصولهم إليهم ارتد منهم خمسة وستون رجلا وبقى ثابتا منهم خمسة أشخاص وقال جمهورهم إن هذا السحر ولا حقيقة لـــه(١).

وأثار ثمود العداوة بين صالح وبين من يحيط به من قومه، فجاؤوا إلى صالح وقالوا لـــه: أيصح أن تشرب الناقة مياهنا ويبقى الناس عطاشى؟

فقـــرر صالح أن يسقي الناقة بأقل مما كانت تشربه، ولكنهم لم يقتنعوا بذلك وأخذوا يصطنعون الحجج، وكانوا يتلقون التعليمات من الصنم الحجري الذي يدخل فيه إبليس ويتكلم من خلاله حيث كان يقول بأن صالحا ساحر.

وأمـــا صـــالح فإنه كشف لهم قصة الصنم كان يتكلم من خلاله إبليس حيـــث أراهـــم الـــنفق وكيف إن إبليس هو الذي يكلم الناس من خلاله وبذلك

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبد الصاحب الحسني العاملي.



انجلت حيلة إبليس.

ولكـن قـوم ثمـود بدلا من أن يهتدوا ازدادوا عداوة وعنادا وقرروا القضاء على الناقة مع كونهم خائفين من عاقبة هذا العمل. فأوعزوا إلى رجل شقي من قوم ثمود لكي يعقر الناقة وبعدما نفذ هذا الشقي الجريمة أقدموا على قـتله لكي يتهموا صالحا بقتل الشقي فأخذ صالح يحذرهم من عاقبة ما أقدموا عليه وينذرهم بنزول العذاب ولكن قومه لم يكترثوا لتحذيره وقالوا لـه: نحن لا نعـبد إلهك وليكن ما يكون. عندها دعا صالح ربـه، فمادت الأرض بهم، وبعـد انتهاء المهلة وإتمام الحجة ابتلعت الأرض العاصين ونجى من آمن مع صالح فيمموا وجوههم شطر بلاد الشام لتأتي مرحلة أخرى من حياتهم ومرت مـدة طويلة لم تعبد فيها الأوثان إلى أن قام الشيطان بمحاولات إضلال جديدة حيث كان يقول: إن آدم وإدريس ونوح وهود وصالح كانوا على صواب حيث كـانوا يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ولكن الأفضل أن يكون لكل شخص مكانا يتفرغ فيه للعبادة لكي يضمن التوجه الدائم ويجب أن يصنع شيئا يذكره بالله دائما.

وبهـذه الحـيلة جذب الناس لعبادة الأجسام والأوثان وشيئا فشيئا غفل الناس عن التوجه للغيب وأخذوا يعبدون الأشياء المنحوتة.

وقد انتشرت عبادة الأوثان إلى حد فإن نمرود كبير البابليين جعل من نفسـه ربا وأمر الناس بعبادته حيث كان يقول إن هذه الأصنام تمثل الصور الصـامتة للأنبـياء وأنـا أمثل الصورة الحية للآلهة فيجب أن تعبدوا الأوثان لـتذكروا الأنبياء ويجب إطاعتي حتى لا تعبدوا الموتى وأن لا تنسوا الأحياء، وبهـذه الصـورة فإن نمرود أضل الناس أكثر من غيره، وبما أن بابل كانت عامرة توجه إليها الناس من كل حدب وصوب وانتشرت الضلالة منها إلى كل



مكان وعلى هذا فقد حان وقت ظهور نبي عظيم ذي إرادة صلبة لكي يستطيع الوقوف أمام هذا التوجه الضال فكان دور إبراهيم عليه السلام.

معجزة صالح عليه السلام

يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وآل ثمود هم ولد ثمود بن جاثر بن أرم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا عتوا كبيرا فبعث الله إليهم صالحاً عليه السلام قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا؟ وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إن كان أحدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم ولم يزل صالح عليه السلام يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون[2].

ورغم[3] نصاعة دعوة صالح عليه السلام فقد بدأ واضحا أن قومه لا يصدقونه كانوا يشكون في دعوته واعتقدوا أنه مسحور وطالبوه بمعجزة تثبت أنه رسول الله إليهم وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تستجيب لطلبهم.

قال صالح عليه السلام لقومه حين طالبوه بمعجزة ليصدقوه: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

١- من الآية رقم (٧٣) من سورة الأعراف.

٢- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ط دار الكتب العلمية.

٣- أنبياء الله أحمد بهجت: ط دار الريان للتراث.




عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[1].

معجزة الناقة لصالح عليه السلام

كانت هذه الناقة معجزة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾[2] أضافها لنفسه سبحانه وتعالى.

وإنما استشهد صالح عليه السلام على صحة نبوته عند قومه بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله. وكان[3] لقومه عيد يخرجون إليه بأصنامهم فقالوا لصالح أخرج معنا إلى عيدنا فندعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال: نعم، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة -لصخرة منفردة- ناقة جوفاء عشراء فإن فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عليه السلام فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفرجت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت وليدا مثلها في العظم فآمن به سيد قومه واسمه: جندع بن عمرو ورهط من قومه.

وأصدر الله أمره إلى صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بهذه الناقة أو إيذائها أو قتلها كما أمرهم أن لا يمسوها بسوء وأن يتركوها تأكل في أرض الله وحذرهم إذا مدوا أيديهم إليها بالأذى فسوف ينزل بهم عذاب قريب من الله سبحان الله وتعالى.

١- من الآية رقم (٦٤) من سورة هود.

٢- أنبياء الله: أحمد بهجت، دار الريان للتراث.

٣- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ط دار الكتب العلمية.





وكانـــت هـــذه الـــناقة ناقة مباركة قيل: كان لبنها يكفي آلاف الرجال والنســـاء والأطفال وكانت إذا نامت في موضع هجرته كل الحيوانات الأخرى وكـــان واضـــحا أنها ليست مجرد ناقة عادية وإنما هي آية من آيات الله قال صالح: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فهـــو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل في أرض الله وكل الأرض أرض الله وهـــو يحذرهم من أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم وهو يلفتهم إلى إنعام الله عليهم كيف جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد.

يفعـــل صالح عليه السلام ذلك كله فإذا قومه يجيبونه أغرب إجابة يتجهون إلى الذين آمنوا بصالح فيسألونهم سؤال استخفاف واستهزاء:

أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه؟

وهـــو ســـؤال لا محل لـــه بعد معجزة الناقة قالت الفئة الضعيفة التي آمنت بصالح: إنا بما أرسل به مؤمنون.

وبـــدأ قـــوم صالح يفكرون في حيلة قتل هذه الناقة مع أنه عليه السلام لما خرجـــت هـــذه الـــناقة قال لهم: ﴿هَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[1] ومتى عقـــرتموها أهلككم الله. فكان شربها وشربهم يوما معلوما فإذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤوا كل وعاء وإناء وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئا وتزودوا من الماء للغد.

قصة قتل الناقة

فقـــال قـــوم صالح ينبغي لنا أن نزيح صالح من طريقنا يقصدون قتل الناقة وبعد قتلها يقتلونه وانبعثت الهمسات حول صالح وناقته قال أحدهم وكان

١- من الآية رقم (١٥٥) من سورة الشعراء.




فـي عقلـه بقية لم يطمسها الكفر... حذرنا صالح من المساس بالناقة وهددنا بالعذاب القريب.

أخمـد الجالسـون هـذا الصـوت العاقل بكأسين من الخمر وبـدأوا يتشـاورون فـيما بيـنهم مـن الـذي يستطيع قتل الناقة قال أحدهم: أعرف واحـدا يسـتطيع قـتلها تناقلوا الاسم بينهم في سرور ذلك جبار من جبابرة المديـنة رجـل يعيـث فسادا في الأرض ولا يكف عن الشراب تساءلوا من يسـاعده علـى القـتل فقـيل إن لـه زملاء في المدينة (وكان في المدينة تسـعة رهـط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) اتفقوا على موعد الجريمة ومكان التنفيذ.

الناقة المباركة وهي تضم لصدرها طفلها الصغير

وانـتهى المجـرمون التسـعة من إعداد أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم وخـرجوا في جوف الظلام... هجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت الناقة ونهـض طفلها مفزوعا... امتدت الأيدي الآثمة القاتلة إلى الناقة وقتل طفلها أيضا.

وقيل: إن الذي نفذ عملية القتل هو: قدار بن سالف كمن لها في أصل شـجرة فـرماها بسـهم فانتظم في عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها ثم نحرها.

فلمـا اجـتمع قـوم صـالح علـى قتل الناقة وقتلوها كما بينا ورآها صـالح عليه السلام مقـتولة قال: أنتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله وتمتعوا في داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب.

قالوا له وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح؟

وما آية ذلك: وكانوا يسمون الأيام فيهم.





الأحد	أول
الإثنين	أهون
الثلاثاء	دبار
الأربعاء	جبار
الخميس	مؤنس
الجمعة	يوم العروبة
السبت	شيار

وكانوا قد عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك:

تصبحون غدا يوم مؤنس يعني يوم الخميس وجوهكم مصفرة، ثم تصبحون يوم العروبة يعني يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم شيار يعني يوم السبت وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب الأول يعني يوم الأحد[١].

فلما[٢] أصبحوا في اليوم الأول إذا وجوههم مصفرة فصاحوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة فضجوا وبكوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم: أي قد حضركم الموت فتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا

١- حاشية الصاوي على الجلالين: ط الحلبي.

٢- التبصرة: لابن الجوزي، تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد، ط الحلبي.



يـــدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم.

وقـــال مقـــاتل: حفروا لأنفسهم قبورا، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الـــرابع ولـــم يأتهم العذاب ظنوا أن الله قد رحمهم فخرجوا من قبورهم يدعو بعضـــهم بعضا فقام جبريل عليه السلام فوق المدينة فسدّ ضوء الشمس فرجعوا إلى قـــبورهم فصاح بهم صيحة عظيمة: موتوا عليكم اللعنة فماتوا وزلزلت بيوتهم فوقعـــت عليهم (فدمدم عليهم ربهم) أي أطبق عليهم العذاب انقضت الصيحة علـــى الجـــبال فهلك فيها كل شيء حي وارتجفت الأرض رجفة جبارة فهلك فوقهـــا كل شيء حي هي صرخة واحدة لم يكد أولها يبدأ وآخرها يجيء حتى كـــان كفـــار قوم صالح قد صعقوا جميعا صعقة واحدة. هلكوا جميعا قبل أن يدركوا ما حدث:

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح عليه السلام فكانوا قد غادروا المكان مع بنيهم ونجوا[١].

ولما مر النبي عليه السلام على ديارهم قال: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين"[٢].

فاعتـــبروا إخواني بهؤلاء الهالكين وانظروا سوء تدبير الخاسرين فهم لا بالـــناقة اعتـــبروا ولا لتعويضهم اللبن شكروا، وعتوا عن النعم وبطروا، وعمـــوا عن الكرم فما نظروا وأوعدوا بالعذاب فما حذروا، كلما رأوا آية من الآيات كفروا.

١- أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان.

٢- أخرجه الإمام أحمد في مسنده.



الطـبع الخبيث لا يتغير، والمقدر خلاله لا يزال يتحير خرجت إليهم ناقة من أحسن النعم، ودر لبنها لهم فتوفرت النعم فكفروا وما شكروا فأدبرت النعم فأعاذنا الله وإياكم من الكفران وحفظنا من موجبات الخسران إنه سبحانه إذا لطف صان.





خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء

معجزة إبراهيم:

١- نجاته من نار النمرود.

٢- إحياء الطير بين يديه ليرى كيف يحيي الله الموتى...

٣- من دعوته خاتم الأنبياء محمد ﷺ.





إبراهيم الخليل عليه السلام

يلقب نبي الله إبراهيم عليه السلام بخليل الله وهو ثاني الأنبياء من أولي العزم، وبعد صالح لم يبعث نبي حتى بعث إبراهيم عليه السلام ولد إبراهيم في عهد نمرود في مدينة بابل، ووقتها كان الفساد والكفر سائدا، ونمرود كان حاكما ظالما قويا، وفي بداية سلطته قدم لأهل الكوفة وما بين النهرين وبابل خدمات أكسبته شهرة جعلته محبوباً لدى الناس.

لقد جاء نمرود بشيء جديد إضافة إلى ما كان يشترك به مع الأقوام السابقة الأخرى في عبادة الأصنام وهذا الشيء هو ادعاؤه الربوبية وبهذا أضاف مأساة إلى ما كان يواجهه الأنبياء السابقون من مآسي.

وكان نمرود مغرورا وقد بلغ غروره إلى حد كان يريد أن يشن حربا على رب السماوات والأرض، فأمر أن يصنعوا له مركبا هوائيا وقد ربط طرفاه بأرجل صقرين جائعين علقوا فوق رأسهما لحما فحلقا به إلى السماء وكان بيده قوس يريد أن يرى رب السماوات بسهام قوسه حسب ما هداه جهله وغروره.

ومن هنا يبدو جهل نمرود بحيث لم يسمع كلام الأنبياء بدقة، لقد سمع منهم أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ولكنه لم يعلم بأن الله ليس بجسم ولا يرى بالعين حتى يستطيع أحد أن يحاربه.

أما إبراهيم عليه السلام فكان من الرجال الواعين في ذلك الزمان حيث أنه عندما كان يرى الناس يعبدون الشمس والقمر والنار والأوثان المصنوعة من الطين والحجر كان يستغرب بشدة ويقول: إن الله خالق كل شيء وهو أفضل مما يعبدون وذلك لأن الشمس والقمر يغيبان والنار تبرد والصنم جماد لا روح




لـــه والعجب من الناس إنهم لا يفهمون ذلك.

وقد نشأ إبراهيم في عائلة تتكسب من نحت الأصنام، وعمه الذي كان يدعوه (أبي) كان يعمل في معبد للأصنام وكان من المقربين من نمرود، وكان إبراهـيم يسخر من الأصنام ويسفه آلهتهم مما أثار غضب عمه آذر الذي كان يعمـل أيضـاً فـي نحت الأصنام، وعندما اصطفى إبراهيم عليه السلام نبيا ونزلـت علـيه الصـحف شـرع بتبليغ رسالته لهداية الناس وأخذ يستهزئ بالأصـنام ووصـل الحد إلى أن آذر الذي يدعوه بأبيه أخرجه من بيته تقربا لنمرود. وأخذ إبراهيم يزداد إصرارا يوما بعد يوم على دعوة الناس لعبادة الله وكـانوا لا يستجيبون لـه إلا القليل منهم لأن نمرود كان يملك مقدرات البلاد والعباد، وكانوا يتصورون أن الأوثان إذا ما غضبت فسيكون مصيرهم أسود. ورأى إبراهيم أنه لابد من أن يكسر طوق الخوف الذي ضُرب على الناس من القـدرة الوهمية للأصنام بسلب قدسية الأصنام في نفوس الناس، ويوماً حيث كان الناس خارجين من المدينة بمناسبة أحد الأعياد، فأخذ إبراهيم فأسا وتوجه إلى المعبد الكبير للمدينة، وبعد توكله على الله قام بتكسير كل الأصنام ما عدا الصنم الكبير حيث علق الفأس في رقبته وعاد إلى بيته وعندما عاد الناس إلى المدينة وشاهدوا الأصنام قد كُسرت أخبروا نمرود بذلك.

فسأل نمرود: هل تعلمون من فعل ذلك بآلهتنا؟

فقالوا: لا يجرؤ أحد على هذا العمل سوى فتى يقال لـه إبراهيم فإنه عـدو للأصـنام ويدعـو إلـى عبادة رب لا يشاهد بالعين ويعتبر نفسه نبيا وصاحب رسالة.

فأمر نمرود بإحضار إبراهيم فجيء به وسأله قائلا: يقولون إنك كنت الوحـيد الـذي بقي في المدينة أتعلم من الذي كسر الأوثان فأجابه إبراهيم:



يقولـــون أن الفـــأس كـــان على عاتق الصنم الأكبر ألا يعني أنه غضب وقام بتحطيم الأصنام؟

قال لـــه نمرود: ليس بمقدور الصنم الكبير أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يرد الأذى عن نفسه.

أجابـــه إبراهيم: إذا كان الصنم الكبير لا قدرة لـــه على هذا الفعل فإن الأصغر منه أضعف منه فكيف تعبدون هذه المجسمات العاجزة عن الدفاع عن نفســـها ولا تؤمنون بالله الخالق الكبير الذي يستطيع في لحظة أن يقلب الدنيا وينشئ خلقا آخرا.

فقـــال بعضـــهم: الحـــق مع إبراهيم وحدثت في المدينة ضجة وضاق نمـــرود مـــن زوال ملكه، فقال لإبراهيم: يبدو أنك أنت الذي كسرت الأصنام فانتظر فسوف أحرقك في النار لتكون عبرة للآخرين.

فقال إبراهيم: إن الذي خلقني قادر على أن يحفظني من حرارة النار.

قال لـــه نمرود: عش بهذا الأمل، وأمر بأن يذهبوا به إلى السجن وأن يجمـــع الـــناس حطبا ويملؤوا به مساحة أربعة فراسخ ويصنعوا منجنيقا كي يقذفوا به إبراهيم في النار.

قال تعالى في كتابه الكريم يصور هذه المشاهد: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۝ أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي





الجحيم ۞ فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾ (١).

وأيضـــا نرى القرآن في موضع آخر يصف وضع إبراهيم بقوله: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۞ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾(٢).

وجاء في الخبر أنه خرج نمرود بن كنعان الجبار وجميع أهل مملكته فـــي يوم عيدهم وكره إبراهيم عليه السلام أن يخرج معهم فوكله نمرود ببيت الأصـــنام، فلما ذهبوا ولم يبق أحد إلا هو عمد إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم وعرض على الأصنام الطعام فكان إبراهيم يدنيه منها واحدا بعد واحد ويقول لـــه كـــل وتكلـــم فأخذ يكسر أيديهم وأرجلهم حتى أتى على آخرهم ثم علق الفـــأس في عنق كبيرهم، فلما رجع الجبار الملك نمرود ومن معه من عيدهم ونظـــروا إلى ما فُعل في الأصنام من التكسير والتمثيل البشع قالوا: من فعل هـــذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين؟. فقالوا ههنا فتى يذكرهم يقال لـــه إبراهيم، ثم جيء بإبراهيم إلى نمرود فقال لـــه نمرود من فعل هذا بآلهتنا يـــا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون. ثم إن نمرود استشار قومه في إبراهـــيم فقـــالوا لـــه: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، ثم إن نمرود حبس إبراهيم عليه السلام وجمع لـــه الحطب حتى إذا كان اليوم الذي يريد أن يلقيه فـــي الـــنار برز نمرود وجنوده وكان نمرود قد بنى بناءً لنفسه كي ينظر ما

١- سورة الصافات، الآيات: ٨٣-٩٨.

٢- سورة العنكبوت، الآيتان: ١٦، ١٧.




يكـــون مـــن أمر إبراهيم حين يلقيه في النار وكيف تأخذه النار، وجاءه إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يتمكن أحد من الدنو من النار أو مقاربتها وحاروا كـــيف يلقوه فيها لعظمتها، وكان الطائر عن مسيرة فرسخ يحترق بها، فوضع إبراهـــيم فـــي المنجنـــيق وألقـــي في النار، فدعى إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخـــلاص فقال: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن لـــــه كفـــوا أحد نجني من النار برحمتك فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى النار بقولـــه: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم فاضطربت أسنان إبراهيم من الـــبرد حتى قال لها وسلاما على إبراهيم فهبط جبرائيل وجلس معه يحدثه في الـــنار وهما في روضة خضراء، ونظر نمرود إلى إبراهيم عليه السلام وقال: من اتخذ إلها فليتخذ مثل إله إبراهيم[1].

ويـــوم تنفيذ الحكم أقاموا حائطاً حول الحطب وأشعلوا النيران وقذفوا إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق في النار على مرأى ومشهد من الناس ودعا إبراهيم ربه لينجيه، فأصبحت النار بردا وسلاما وخرج منها إبراهيم سالما لم تمسسه الـــنار وكأنه خرج من روضة واستمر في دعوته للناس، وفي هذه المرة رأى الـــناس المعجـــزة بـــأم أعينهم فلانت قلوبهم ولكنهم كانوا يخافون من نمرود ويقولـــون: لقد أصبحت النار بردا وسلاما على إبراهيم وربما لا تكون لنا إذا ما أراد نمرود أن يحرقنا جميعا عندها ماذا نفعل؟.

واســـتدعى نمرود إبراهيم وقال لـــه باحترام: أيها الرجل الجليل إنني علمت أنك صادق فيما تقول ولكني لا أتنحى عن زعامة قومي وإذا لم أستطع القضـــاء عليك فإني سأعذب الأخرين ويجب أن لا ترضى بإراقة الدماء، أنا لســـت من الملوك الذين يسيئون لشعوبهم وإن هؤلاء لا يتبعونك، فإذا كنت لا

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم –العاملي.




تحـب قـتل الناس فارحل من أرض بابل لتهدي غيرنا فإن العالم غارق في الضـلال وهـناك مـن يكون أضل منا، أنا مشغول بإعمار البلاد وغيري لا يعمـرون بلادهم وأنت تستطيع أن تدعو الناس في كل مكان وقد بذرت الآن بذور الإيمان، ألا يكفي هذا؟

فقال لـه إبراهيم: الآن وقد اعترفت بصدق قولي فلماذا لا تعبد الله؟

فأجابـه نمرود: إذن لا تدع البلاد لأن تكون في هرج ومرج واعمل بالتدريج، اذهب من بابل وأنا أهيئ لك الناس شيئا فشيئا وبعكسه فسوف تكون حربا وإراقة دماء وأنت لا تحب ذلك.

فهاجـر إبراهـيم بأمر الله بصحبة ابن أخيه لوط وزوجته سارة التي كانت ابنة عمته وجمع من المؤمنين من هاجروا إلى بلاد الشام وهناك أخذوا يدعون الناس إلى الهداية وقد آمن بهم الكثير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

آراء المفسرين في معنى لفظة أمة أقوالا:

قيل الأمة: معلم الخير أي كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا وقيل أنه كـان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة واحدة وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم عليه السلام أوصافا حميدة منها: مائلا إلى الدين القـيم أي تاركـا لمـا عداه من الأديان الباطلة ولم يكن من المشركين: هذا الوصـف قد علم التزاما من قوله تعالى حنيفا وإنما ذكره ردا على المشركين

١- من الآية رقم (١٢٠- ١٢٢) من سورة النحل.




حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم قولـه شاكرا لأنعمه: أي صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله تعالى ظاهرا وباطنا.

اجتباه: أي اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لـم يكـن لـه فيه كسب إشارة إلى ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله لـه لا بنفسه.

قوله: إلى صراط مستقيم، أي دين قويم لا اعوجاج منه[١].

كـان[٢] إبراهيم عليه السلام هو هذا العبد الرباني الذي استحق أن يتخذه الله خلـيلا وتلـك درجة من درجات الأنبياء لا تعرف مقدارها ولا يحدثنا القرآن الكـريم عـن ميلاده أو طفولته ولا يتوقف عند عصره صراحة ولكنه يرسم صـورة لجـو الحياة في أيامه فتدب الحياة في عصره ونرى الناس انقسموا ثلاث فئات:

فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.

وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

وفئة تعبد الملوك والحكام.

وفـي هذا الجو المليء بالكفر والشرك ولد إبراهيم عليه السلام وولد عليه السلام فـي أسـرة من أسر ذلك الزمان. ولم يكن رب الأسرة كافرا عاديا من عبدة الأصنام بل كل كافرا يصنع بيديه تماثيل الآلهة.

١- تفسير ابن جرير الطبري: ط دار الفكر، بيروت.

٢- تفسير ابن جرير الطبري: ط دار الفكر بيروت، أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان بشيء من التصرف.





قيل: إن أباه مات قبل ولادته فرباه عمه وكان لـــه بمثابة الأب وقيل: إن أباه لم يمت وكان آذر هو والده حقا.

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر فقد ولد إبراهيم في هذه الأسرة وكانت أسرة مرموقة من الأسر الارستقراطية بتعبير زماننا.

مـــن هذه الأسرة المقدسة ولد طفل قدر لـــه أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعة وضد أوهام قومه وضد عبدة النجوم والكواكب وضد كل أنواع الشرك.

وكان طبيعيا أن يكون جزاؤه الإلقاء في النار حيا كما سنبين فيما بعد إن شاء الله بشيء من التفصيل.

ولـــم يكن معه عليه السلام حين بدأ صراعه مع عبدة الأصنام غير إسلامه فخرج على قومه بدعوته قال بحسم غاضب وغيرة على الحق: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

انـــتهى[2] الأمر وبدأ الصراع بين إبراهيم وقومه وكان أشدهم غضبا هو أبوه أو عمه الذي رباه كأب وانتهى الأمر بينه وبين أبيه بأن طرد إبراهيم من بيته كما أسفر عن تهديده رميا بالحجارة وخرج إبراهيم من بيت أبيه هجر قومه وما يعبدون من دون الله.

١- الآيات (٥٢- ٥٣- ٥٤ - ٥٥- ٥٦) من سورة الأنبياء.

٢- أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان بشيء من التصرف.




وقـــرر في نفسه أمرا وكان يعرف أن هناك احتفالا عظيما يقام على الضـــفة الأخرى من النهر وينصرف الناس جميعا إليه. فخرج إبراهيم حذرا لكي يحطم تلك التماثيل فذهب إلى المعبد ومعه فأس حادة.

اقترب من تمثال لأحد الآلهة وسأله في سخرية وكان أمام هذا التمثال طعام وضعه القوم لـــه -أي التمثال لقد برد الطعام أمامك... لماذا لا تأكل.

وظـــل التمثال صامتا جامدا وسأل إبراهيم عددا من التماثيل حوله (ألا تـــأكلون) كان يسخر منهم وعاد يسأل التماثيل (ما لكم لا تنطقون وبدأ يحطم هـــذه التماثيل بفأسه إلا تمثالا واحدا علق الفأس في رقبته فلما رجع القوم من احـــتفالهم ودخلوا المعبد فاكتشفوا أن الآلهة قد تحطمت ما عدا واحدا وبدءوا يفكرون فيمن يكون مرتكب هذه الفعلة[١]. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٢].

أحضروا إبراهيم على الفور وسألوه: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [٣].

قـــال لهـــم إبراهـــيم وهـــو يشـــير إلى كبير الآلهة الذي علق الفأس برقبته: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٤].

فقـــالوا لـــه: أنت تعرف أنها لا تنطق فقال لهم إبراهيم: كيف تعبدون شـــيئا لا يـــنفع ولا ينطق لقد علقت الفأس في عنق كبير الآلهة فلم يقل لماذا فعلت هذا إنه لا يسمع ولا ينطق ولا يتحرك.

ألـــزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة وأسكتهم بالبرهان فقرروا إعدامه حرقا في النار.

١- أنبياء الله: أحمد بهجت، بتصرف.

٢- من الآية رقم (٦٠) من سورة الأنبياء.

٣- من الآية رقم (٦٢) من سورة الأنبياء.

٤- من الآية رقم (٦٣) من سورة الأنبياء.





معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من النار

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١).

والقائل ذلك: هو النمرود بن كنعان. وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيـنوب خسف الله به الأرض والحكمة في اختيارهم الحرق بالنار على غيره مـن أنواع القتل أن إبراهيم عليه السلام بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة.

وحاصل القصة: أنه لما اجتمع النمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة ثم جمعوا لـه صلاب الحطب وأصناف الخشب مـدة شـهر، حـتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لأجمعن لإبراهيم وكانـت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه لئن أصابت ما تطلب لتجمع الحطب لإحراق إبراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمر بها فيحرق من شدة حرارتها فـأوقدوا عليها مدة سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلـى إبراهـيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلـولا فصـاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقليـن صـيحة واحـدة أي ربنا خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعـبدك غـيره فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى: إنه خليلي ليس لي خليل غـيره وأنا الإله ليس لـه إله غيري فإن استغاث بأحدكم فأغيثوه وإن لم يدع غيري فأنا وليه وأنا أعلم به فخلوا بيني وبينه.

١- من الآية رقم (٦٨) من سورة الأنبياء.





فلما[١] أرادوا إلقائه في النار أتاه خازن النار وقال: إن أردت أخمدت الـــنار وأتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجــة لــي إلــيكم حسبي الله ونعم الوكيل فلما[٢] رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الأرض حسبي الله ونعم الوكيل وعرض لــه جبريل وهو يوثق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا فقذفوه في النار فناداها الله تعالى فقال: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم.

وقــيل: فلــو لم يتبع بردها سلام لمات إبراهيم من شدة بردها فلم يبق يومــئذ نــار إلا طفئــت ظنت أنها هي المقصودة وبعث الله الظل في صورة إبراهــيم فقعــد فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث النمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهي يحرق بعضها بعضا وإبراهيم جالس إلــى جنبه رجل مثله فقال نمرود لقومه: لقد رأيت كأن إبراهيم حي ولقد شبه علــي ابــنوا لــي صرحا يشرف بي على النار فبنوا لــه وأشرف منه فرأى إبراهيم جالسا وإلى جانبه رجل في صورته فناداه نمرود: يا إبراهيم إن إلهك كبــير الــذي بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخـــرج منها؟ قال نعم قال: أتخشى إن أقمت فيها؟ قال: لا فقام إبراهيم فخرج مـــنها فلمـــا خـــرج قـــال لـــــه: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثل صورتك؟

قـــال: ذلك ملك الظل أرسله إلى ربي ليؤنسني قال نمرود: إني مقرب إلـــى إلهــك قـــربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت إلا

١- حاشية الصاوي على الجلالين: ط الحلبي.

٢- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ج١، ط دار الكتب العلمية.



عبادته فقال إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي.

وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا هذه المعجزة العظيمة[١].

قال الإمام الرازي: كانت مدة مكث إبراهيم عليه السلام في النار أربعين يوما ويروي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما وضع في النار قال: ما كنت قط أياما أنعم مني في الأيام التي كنت فيها في النار.

وفاة إبراهيم عليه السلام وما قيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه أن مولده في زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل: الضحاك الملك المشهور الذي يقال إنه ملك ألف سنة وكان في غاية الغشم والظلم. وذكروا[٢] أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا: يولد مولود في زمانك يكون زوال ملكك على يديه فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين فحماه الله عليه السلام وصانه من كيد الكفار الفجار وشب شبابا باهرا وأنبته الله نباتا حسنا حتى كان من أمره ما تقدم وقد روى[٣] ابن عساكر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة، الله أعلم بصحتها.

وقد قيل: أنه مات فجأة والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك

١- المرجع السابق.

٢- البداية والنهاية: لابن كثير، ط دار المعرفة، بيروت.

٣- المرجع السابق.


قـالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة وقيل: وتسعين سنة وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة.

وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه: أنبأنا المفضل بن محمد الجندي بمكة، حدثنا علي بن زياد اللخمي، حدثنا أبو قرة عن ابن جريج عن يحيى ابن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "**اختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة**" وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال[١] مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا!!؟ فقال الله تعالى: وقار فقال: يا رب زدني وقارا وزاد غيرهما وأول من لبس السراويل.

وروي ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال: وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة فيها:

إلهي جهول أمله	يموت من جاء أجله
ومن دنا من حتفه	لم تغن عنه حيله
وكيف يبقى آخر	من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه	في القبر إلا علمه

* * *

١- البداية والنهاية: لابن كثير، ط دار المعرفة، بيروت.





ابنا خليل الرحمن عليه السلام

إسماعيل وإسحاق

معجزته:

١- أما إسماعيل فمعجزته الفداء بذبح عظيم.

٢- وأما إسحاق فميلاده معجزة لسارة على الكبر عليهم سلام الله أجمعين.





إسماعيل وإسحاق

كانـت سـارة زوجة إبراهيم امرأة عقيما لا تنجب وكانت عندها أمة اسـمها (هاجر) فوهبتها لإبراهيم كي يعتقها ومن بعد ذلك يتزوجها كي تنجب لـه أولادا.

ولأول مـرة يـتزوج رجل امرأة ثانية لتنجب لـه الأولاد. وبعد مدة ولدت هاجر ولدا أسموه إسماعيل.

أما سارة فقد أصابها الهم بسبب عدم إنجابها وقالت لإبراهيم يجب أن تفصـل بيني وبين هاجر، إن إرادة الله اقتضت أن أكون بدون ولد ولكنني لا أستطيع أن أتحمل هاجر بقربي. فناجى إبراهيم ربه، فهبط عليه جبرائيل وقال لـه: افعـل كما تريد سارة فإنها امرأة طيبة القلب ولكنها ضعيفة ومهمومة ويجب أن لا يبعث همها على إيجاد عدم الراحة في العائلة فإن أي مكان توجد فيه ضرة فلا يرى طعم الراحة والهدوء. واضطر إبراهيم إلى أن يأخذ هاجر وابـنها إلـى صـحراء مكة وقال لهما: امكثا هنا حتى أرجع إليكما فتركهما وذهب. وبعد مرور برهة من النهار ذهبت هاجر للبحث عن الماء حيث كانت الشـمس محرقة وأخذت تسعى سبع مرات بين جبلي الصفا والمروة بحثا عن عين ماء وعندما رجعت إلى ابنها شاهدت عينا قد نبعت من أثر قدم إسماعيل فشـكرت هاجر ربها على هذا الولد المبارك، وكانت مجموعة من الناس في الجانب الآخر من الجبل يبحثون عن الماء ولما علموا بوجوده استأذنوا هاجر أن يقـيموا هـناك بالقرب من الماء فأذنت لهم، وعندما علم إبراهيم بأن هذا المكان أصبح فيه سكن فرح فرحا شديدا واطمأن قلبه، واتفق مع سارة بأنه إذا مـا أراد أن يزور هاجر وإسماعيل فإنه لا يمكث هناك وسوف يرجع سريعا.





وبقي هناك إلى أن صار عمر إسماعيل سبع سنوات، وهاجر إبراهيم إلى بيت المقــدس وأقام هناك، وأخذ يدعو الناس للهداية وأرسل رسولا إلى نمرود بأن لا ينســى عهــده الذي عهده لإبراهيم فإذا ما انتهت المدة فسوف ينزل عليهم العذاب الشديد.

ورأى إبراهيم في المنام أنه يقرب قربانا في سبيل الله فناداه مناد وقال لــــه: مــن الشــهامة أن يقرب الإنسان أفضل ما يملك إذا ما أراد أن يقرب قربانا.

فقال إبراهيم: ليس عندي أعز من إسماعيل.

فقــال لـــه هاتف: إذن عليك أن تقدمه قربانا، وقد كان متعارفا بين الناس آنذاك بأنهم ينذرون بأن يقدموا أولادهم قرابين في سبيل الله وهو عرف ســيء، ولكــن الرؤية تكررت لإبراهيم ثلاث مرات، فقال إبراهيم: لا بد أن يكــون في هذا المنام حكمة، وعلى هذا الأساس فقد قدم إلى مكة وأخبر هاجر وإسماعيل بما جرى.

فقــالا: إذا كــان الأمــر من قبل الله فنحن راضون بقضاء الله. ولكن الشــيطان وسوس لإسماعيل على أن أباك يريد قتلك ليدخل السرور على قلب سارة ولكن إبراهيم وإسماعيل رجموا الشيطان بالحجر وطردوه.

وعــندما استعد إبراهيم لذبح ابنه إسماعيل وقد أسلما لله أمرهما نزل علــيهما جبرائيل وقال: لا تفعل يا إبراهيم فإنك أثبتَّ إخلاصك لله وليس من المــتعارف أن تقدم مثل هذا القربان، افديه بكبش وقربوا كبشا، وكانوا فرحين أن خرجوا بهذه النتيجة في هذا الاختبار.

ومن ذلك اليوم لقب إسماعيل بذبيح الله.

قــال تعــالى في كتابه الكريم يصف هذا الأمر: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي



سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وبعدهـــا جاءه الأمر من الله سبحانه وتعالى بأن يبني بيتا لعبادته في أرض الكعـــبة والـــذي هو الآن بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) والحج إليه واجـــب علـــى من استطاع من المسلمين، وما حدث في تلك الأيام يعتبر الآن جـــزءاً من مناسك الحج، وكبر إسماعيل وأخذ يقدم الخدمات لزائري بيت الله الحرام.

وإبراهـــيم نذر نذرا بأن لا يأكل بدون ضيف، فصادف أن مرت ستة أيـــام علـــيه ولم يطرقه ضيف، وكان إبراهيم يصل أيامه صياما وذلك للوفاء بـــنذره، وفـــي اليوم السابع جاءه اثنا عشر شخصا وقالوا لـــه: نحن ضيوفك وجاء بهم إبراهيم إلى البيت وقال لسارة: إن الضيف عزيز الله ويجب أن نقدم لـــه أعز شيء عندنا.

قالـــت لـــه سارة: لا يوجد عندي أعز من هذه العنزة أقدمها للضيوف فذبحـــوا العـــنزة وصنعوا منها شواءً وقدموها لهم ولكنهما شاهدا الضيوف قد امتـــنعوا عـــن تناول الطعام فسألهم إبراهيم فقالوا لـــه: إنما نحن من الملائكة ولســـنا من الإنس حتى نأكل الطعام وقد أتيناك لكي تقطع صيامك، والآن وقد ذبحـــت لـــنا أعـــز شيء عند سارة فنبشرك بأن سارة ستصبح أما لولد اسمه إسحاق وسيكون نبيا مثل إسماعيل وسوف يكون لـــه ولد اسمه يعقوب.

١- سورة الصافات، الآيات ٩٩- ١٠٧.


وولد إسحاق، ولما بلغ إبراهيم من العمر مائة وعشرين سنة فجعل إسحاق خليفة له في الشام وفلسطين أما إسماعيل فقد كان خليفته في الحجاز وأخذا يدعوان إلى دين أبيهما إلى أن جاء وقت نبوتهما.

وما نمرود فلأنه بقي على ضلالته أرسل الله سبحانه وتعالى بعوضة دخلت في منخره واستقرت في مخه وبقيت تؤذيه وتذله حتى مرض ومات بسببها، أما قومه فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم عندما دعاهم إسحاق لذلك.

لقد ذكر إبراهيم عليه السلام في خمسة وعشرين سورة من القرآن الكريم وهي: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، التوبة، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الأنبياء، النحل، مريم، الحج، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الحديد، الممتحنة، الأعلى.

إن قصة إبراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط وقصة إسماعيل ابنه وقصة إسحاق ابنه، وذكرنا أن لوطا هو ابن خالته وابن أخيه وهما في عصر واحد وقد آمن لوط بعمه إبراهيم فهو يدعو إليه وإلى شريعته.



نبي الله لوط أول من قاوم الفساد وحار من أمر المفسدين....

نجاته وأهله إلا امرأته...

وكـــان عقاب قوم لوط أن أمطر الله تعالى عليهم حجارة من جهنم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.... إلخ وأما امرأته فهي ثانـــية اثنتيـــن من زوجات الأنبياء خانتا زوجيهما النبيين نوح ولـــوط فضرب الله تعالى بهما المثل في الكفر وأثبت خيانتهما بقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (التحريم: من الآية ١٠)



لـــوط عليه السلام

لقد كان لوط نبيا في زمان نبوة إبراهيم وقد أمره إبراهيم لتولي هداية قوم لوط ولم يكن صاحب كتاب.

صـــحراء لـــوط كانـــت تضم سبع مدن، وكان قومه من الضالين قد أغواهم الشيطان ونشر في صفوفهم الفساد، حيث قال لهم أن آدم خدعته حواء زوجته في الجنة والنساء ضعيفات الإرادة وكثيرات المعصية.

وبهـــذا التصـــور الذي خلقه إبليس عند قوم لوط أخذوا ينظرون إلى النساء نظرة الحقارة إلى حد كانوا يقحمونهن بالأعمال الشاقة ويذبحون البنات تقـــربا للأوثـــان، وبالمقـــابل كانوا يحسنون للأولاد ويقضون أيامهم بالشرب والملذات واللهو وكان الفسق والفجور منتشرات بينهم.

ولمـــا يـــئس لوط من هداية قومه ناجى ربه، لقد أصابني النصب من هؤلاء القوم وهم لا يرحمون حتى أنفسهم وأصبح إصلاحهم غير ممكن.

قال تعالى في كتابه يصور حال قوم لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(١).

ولوط ابن أخ إبراهيم وابن خالته، وقد ذكر لوط في أربع عشرة سورة مـــن القـــرآن الكـــريم هي الأعراف، هود، الحجر، الأنبياء، الحج، الشعراء،

١- سورة الشعراء، الآيات: ١٦٠-١٦٦.




النمل، العنكبوت، الصافات، ص، ق، القمر، التحريم.

وقوم لوط كانوا أهل لهو ولغو وفساد ودجل وباطل، فلقد خلعوا جلباب الحـياء فكـانوا لا يخجلون من فعل القبيح الذي تأباه البهائم وتنفر منه جميع الـنفوس البشرية من سابق ولا حق، وكانوا لا يستحي بعضهم من بعض أن يأتـي بأفظع المنكرات فيجتمع كبيرهم وصغيرهم والأب والابن والسيد والعبد مـنهم علـى نكاح الرجل الغريب واللواط به ولو في محضر نسائهم وبناتهم ويتعاقبون الآخر بعد من سبقه، وكانوا يتضارطون في المجالس والنوادي كما هو وارد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾.

وقوم لوط يسكنون في منطقة اسمها سدوم أهل صلافة ووقاحة وبغي، وكان لهم قاض يحكم فيما بينهم فكان يحكم لهم على غيرهم حق كان أم باطلا كمـا قيل، فأرسلت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام رسولاً من قبلها إلى سدوم كي يأتيها بخبر لوط وسلامته، فلما وصل إلى سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد إليه وضربه بحجر على رأسه فسال دمه، ثم تعلق به قائلا لـه: إن هذا الدم الكثير الـذي خـرج مـن رأسك لو بقي لأضر بك فأعطني أجري، فلما كثر بينهما الجدل والخصام ولم يقدر أن تخلص منه رسول سارة دعاه إلى المحاكمة عند القاضـي فمضـيا إلى حاكم سدوم، فلما سمع كلاهما قضى على المضروب وحكـم علـيه بدفـع الأجر إلى الضارب السدمي، فلما رأى المضروب وهو رسـول سـارة الجور من القاضي والخصم عمد إلى حجر وضرب به رأس القاضـي فأسال دمه وقال له: الأجر الذي وجب لي عليك ادفعه إلى خصمي الذي ضربني وأسال دمي وانصرف راجعا من حيث أتى هربا من جور تلك القرية وأهلها.

وبقي لوط بين أظهرهم سنين متطاولة فلم يحصل على نتيجة ولم يثمر



كلامـــه معهم شيئا فحينذاك دعا عليهم فأذن الله تعالى بتعجيل عذابهم وإنزال البلاء فيهم[١].

وهـــبط جبرائيل وقال للوط: لقد جاء دور هؤلاء وسوف ينزل العذاب علـــيهم وأن الله حلـــيم بعـــباده ولكن إذا بلغ الظلم حدا وآن الأوان فإنه شديد العقاب ولا يبقى كيان لأي قوم مع الظلم والفساد، وأتمم لوط الحجة على قومه وقـــال لهـــم: لا تؤدوا البنات ولا تتزوجوا الأولاد بدلا من النساء فإن الرحمة والبركة سترفع عنكم، اتقوا الله وآمنوا بدين إبراهيم.

وكانـــت امـــرأة لـــوط من الغابرين الضالين وقد عاضدت أعداء لوط وعندما كان قومه يتهمونه بشتى التهم كانت امرأة تساعدهم على تشويه سمعة لوط حتى أصبح لوط مهموما ويرجو من ربه نزول العذاب على قومه .

ويومـــاً هبط عليه جبرائيل وعزرائيل ومجموعة من الملائكة بصورة أنـــاس لكي يخبروه بنزول العذاب على قومه، وأخبرت امرأة لوط قومها بان في بيت لوط ضيوف غرباء فهجموا عليه ودخلوا بيته عنوة وقالوا: أنت تحيك المؤامرات ضدنا بالتعاون مع الغرباء وذلك للقضاء علينا وتخيفنا بعذاب الله، نـــريد أن نقضي عليك وعلى ضيوفك، وفي الليل قال لهم لوط إذا لم ترجعوا عن غيكم وتتوبوا فسوف ينزل عليكم العذاب صباحا.

قالوا: إن الصبح لقريب وإذا كنت صادقا في ذلك فليأتي العذاب، نريد أن نقتلك مع ضيوفك لنرى أين العذاب أو ترحل الآن من بيننا وتتركنا لحالنا فإننا لا نقبل نصيحة الغرباء.

قـــال تعـــالى فـــي كتابه الكريم يصف إصرار قوم لوط على كفرهم:

١- الأعراف، الآيات: ٨٠-٨٤.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۞ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۞ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۞ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[١].

ورد أنـه لمـا أرسـل الله سبحانه وتعالى رسله لقلب مدائن قوم لوط وإعـلام خليله إبراهيم بذلك قبل وقوع الانتقام منهم، فلما دخلوا على إبراهيم بشروه بولده اسحاق ومن وراءه يعقوب.

ولما دخلوا على إبراهيم توهمهم ضيوفا فصنع لهم طعاما وقربه إليهم، فلما رأى أن أيديهم لا تصل إليه ارتاب منهم وأوجس منهم خيفة فأعلموه أنهم رسل الله تعالى أرسلهم للانتقام من أهل سدوم وعاموره وهم المعبر عنهم بقوم لوط. ولما علم إبراهيم أن قوم لوط هالكون وأن الملائكة مرسلون لإنفاذ الأمر فـيهم فـتأثر لذلك لرقة قلبه وصفاء نفسه، فلم يملك نفسه أن بادر بالاستشفاع فأجابـته الملائكة: نحن أعلم بمن فيها وإن لوطا وأهله لا يصيبهم أي ضرر وهم الناجون وحكم الله نافذ ولا راد لـه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.

وقـال تعـالى في قوم لوط في سورة الأعراف: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٢].

١- سورة الشعراء، الآيات ١٦٧- ١٧٣.

٢- الأنبياء حياتهم وقصصهم -العاملي.


وكانـــت بدايـــة العذاب أن فقدوا أبصارهم ثم تزلزلت الجبال وسقطت علـــيهم واندثروا هم وأعمالهم السيئة تحت التراب بعدها ذهب لوط إلى الشام حيث كان هناك إسحاق فزوجه من ابنته فأنجبت يعقوب وبقيا هناك حتى نهاية نبوتهما.





يعقوب عليه السلام

معجزة يعقوب:

شم رائحة يوسف على بعد أميال.

فلما أن جاء البشير وألقى قميص يوسف على وجهه رد الله عز شأنه عليه بصره: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: من الآية٩٦)





يعقوب عليه السلام

وهــو من أولاد إسحاق وقد ولد توأم مع أخيه (عيص) الذي تقدم عليه في الولادة فكان عيص الأكبر.

أم يعقــوب ابــنة لــوط كما أسلفنا، وإسحاق كان زعيما دينيا وحاكما للشــام، وكــان يرغب أن يتخذ من عيص خليفة لــه حيث كان عيص قوي الشــكيمة وذي هيبة وجلال أكثر من يعقوب وقد فقد إسحاق بصره في أواخر عمره، وكان يفكر في من ينوب عنه من أولاده ولم يصل إلى نتيجة.

من صفات عيص أنه رجل لائق وشجاع، أما يعقوب فقد كان رؤوف القلــب ومن أهل العلم والعبادة. ولأنه كان كثير العبادة والإخلاص لله سبحانه وتعالى فسمي إسرائيل أي عبد الله.

عــندما توفيت زوجة يعقوب، رأى في المنام بأنه مأمور بالذهاب إلى مــنطقة (حران) وأن يخطب (راحلة) ابنة لابان، وعندما قارب يعقوب المدينة حان وقت الصلاة، فذهب إلى بئر قريبة من المدينة عليها صخرة كبيرة ودلو كبــير كان بجوار البئر وذلك ليأخذ منها الماء ويتهيأ للصلاة، فرفع الصخرة وأدلــى الدلــو ومــلأ الحوض الذي كان بجوار البئر، وبعد صلاته ذهب إلى (لابــان) ليروي لهم ما رأى. فقال (لابان): كنت قد قررت بأن كل من يرفع الصــخرة ويملأ الحوض ماء فسأزوجه من ابنتي، والآن وقد قمت بهذا العمل فإن ابنتي راحلة ستكون زوجتك، ومن ذلك الوقت فقد اتخذ يعقوب وأبناؤه من كنعان مقرا لهم وقد رزق يعقوب من راحلة ولدين هما بنيامين ويوسف وقبلها كــان لــه عشرة أولاد، وكان يوسف الأكثر كمالا وجمالا حيث كان يعقوب يحبه حبا جما وكان بقية إخوانه يحسدونه على ذلك.





يوسف الصديق عليه السلام

معجزات يوسف:

١- نطـــق ابـــن أخـــت زليخة وهو ابن ١٩ يوما. عندما اختاره يوسف أن يكون حكما في قضيته مع زليخة وأم الغـــلام أخـــت زليخة للأب وكانت وصيفة في القصر فكـــان الغلام بقدرة الواحد الأحد شاهد النفي الوحيد في القضـــية أنطقه الله عز وجل فشهد ببراعة فائقة وذكاء مقطـــوع النظـــير: ﴿ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف:٢٧).

٢- صدق تعبيره للرؤيا وهكذا عناية الله عز شأنه بالأنبياء.





يوسف الصديق عليه السلام

قال تعالى في كتابه الكريم يصف قصة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (١).

كـان يوسف عليه السلام الابن الثاني عشر ليعقوب، فكان أصغرهم سنا وأجملهم طلعة وأكثرهم لياقة وعزة، وقد لقب بالصديق لصدقه، وكان عرضة لحسد إخوانه وذلك بسبب حب أبيه لـه وقد أظهروا كرههم لـه لمرات عديدة وبصراحة أمام والدرهم.

وكـان من اهتمام يعقوب به أنه كان يشتري لـه الهدايا فيوما يهدي لـه قميصا ويوما نطاقا وآخر أهدى لـه عصاه الخاصة فكان يلعب بها ويفتخر على إخوانه بأن أباه يحبه كثيرا، وعندما كان أولاد يعقوب يسألون أباهم عن سر هذا الاهتمام بيوسف كان يجيبهم: أنا أحب كل أولادي ولأن يوسف أصغركم سنا وأصدقكم قولا ولا يقوم بأي عمل بدون استشارتي وكذلك حبه للعلم فقد حفظ كل صحف إبراهيم في حين أنكم لم تقرؤوا أي كتاب، ويوسف يعبد الله كثيرا ولذلك أحب أن أشجعه على القيام بالأعمال الحسنة، وعندما كنتم صغارا فقد كنت أحبكم مثل هذه المحبة، ويجب عليكم أن تعطفوا على أخيكم الصغير فكانوا يذعنون لكلامه ظاهرا ويضمرون الحسد والحقد لـه باطنا.

وفـي ليلة حيث كان يوسف نائما انتفض من نومه وكان قلقا وأوصاله ترتعش فأخذ إخوانه يهدئونه ويستفسرون منه عما حدث؟

١- سورة يوسف، الآية: ٣.





فقال لهم: لقد رأيت مناما بأن عصا أبي صارت شجرة في يدي، وقد أثمرت والكل كان يأكل من ثمارها، فضحك إخوانه منه وقالوا: إنها أضغاث أحلام، وأخبروا أباهم بأن يوسف يرى أحلاما كاذبة، وتهامسوا فيما بينهم بأن يوسف يدعي أمورا كبيرة يقصد بها تحقيرها، ومرة أخرى رأى يوسف في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، وعندما استيقظ قص على أبيه ما رأى في المنام. فقال له يعقوب: يا بني إن هذا المنام له تعبير عظيم وسوف تصبح حاكما وسيدا على الناس والنجوم الأحد عشر إخوانك والشمس والقمر أمك وأبيك الذين يفتخرون بك وأرجو أن لا تقصص رؤياك على إخوتك حتى لا يناصبوك العداوة.

قال تعالى في كتابه الكريم يصور هذا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١].

ولكن يوسف قص رؤياه على خالته التي أخبرت بدورها إخوانه بهذه الرؤيا، فأخذ بالتشاور بينهم بأن يوسف سيصبح غدا سيدا علينا ويجب الإسراع بالقضاء عليه، ولكنهم كانوا لم يجرؤوا على إبراز ما يكنون على مسمع من يعقوب لأنه كان زعيم كنعان وأمره نافذ على الجميع وسخطه عليهم يكلفهم ثمنا باهظا ولكنهم رغم ذلك فقد وضعوا له مخططا لإيقاع الأذى به.

قال تعالى في كتابه المجيد يصور ذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ

١- سورة يوسف الآيتان: ٤،٥.



للسَّائلين ۝ إذ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أبينا منَّا ونحن عُصْبَةٌ إنَّ أبَانَا لَفي ضَلالٍ مُبين ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَو اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وتَكُونُوا مِن بَعْدِه قَوْماً صَالحين﴾[1].

ويومـا جاءوا أباهم وقالوا لـه: اسمح لنا أن نأخذ يوسف معنا لنرتع ونلعب ولكي يكتسب التجارب ويتعلم الرعي والزراعة.

فقـال لهـم يعقـوب: أخاف أن تغفلوا عنه ويأكله الذئب أو يسقط في البئر.

فقـالوا لـه: يا أبانا سوف نحافظ عليه لأنه أخونا وعزيزيا، وقد كان يوسـف راغبا في الذهاب ولم يستطع يعقوب أن يقف أمام رغبته فسمح لـه بالذهـاب معهـم وأوصـاهم بالحفاظ عليه، فحملوه على أكتافهم وذهبوا إلى المـرعى، وعـندما ابتعدوا عن المدينة غيروا تعاملهم معه فأنزلوه من على أكتافهم وبلهجة خشنة قالوا لـه: نحن لسنا بمطية حتى نحملك على أكتافنا.

وعـندما اشـتكى لهـم عطشه قالوا لـه: نحن اليوم صائمون أركز عصـاك فـي الأرض لتصـير شجرة مثمرة، وأخذوا يستهزئون به ويؤذونه بقولهـم: لعلك تريد أن نسجد لك؟ وأخذوا يؤذونه ويقسون عليه، وعندما كان يحتمـي بأحدهم يضربه بشكل أظهروا حقدهم بصورة علنية وقاسية، ووصل الحد إلى أن أحدهم وهو الأكثر حقدا على يوسف قال: يجب أن نقتله.

فأجابـه الآخرون: نحن لا نتحمل وزر مثل هذه الجريمة فنكون مثل قابيل فنشقى في حياتنا وبعد موتنا. واقترح أحدهم أن يلقوه في البئر وليكن ما يكون واتفق الجميع على هذا الرأي.

قال تعالى في وصف هذا المشهد في كتابه الكريم:

١- سورة يوسف، الآيات: ٧-٩.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۞ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ ۞ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(١).

لقد أنزل الله تعالى في يوسف سورة في كتابه الكريم يوضح لنا فيها عما اختص الله تعالى به عبده يوسف الصديق من بلائه وحباه من مواهبه ونعمائه وأعطاه ما لم يعط غيره من النبيين وامتحنه بما لم يمتحن به غيره من الصديقين فقال سبحانه في صورة يوسف مخاطبا حبيبه المصطفى ﷺ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

وذلك لأن قصة يوسف على الأخص تتضمن من النكات والفوائد والغرائب ما لا يتضمنها غيرها لما فيها من تفاصيل شائقة ودقائق باهرة بنطاق شاسع لم تدع لممعن في أمره سؤالا.

وقد قيل في سبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم هو أن بعض كفار مكة المكرمة لقي بعض اليهود وتباحثا في أمر محمد ﷺ فقال لهم اليهود: سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وسلوه عن قصة يوسف، فنزلت هذه السورة لهذا السبب(٢).

١- سورة يوسف، الآيات: ١٠- ١٥.

٢- الأنبياء حياتهم وقصصهم – العاملي.


وفـــي الـــنهاية فقـــد ألقوه في البئر وصبغوا قميصه بدم عنزة ذبحوها ورجعوا إلى أبيهم بعيون باكية ووجوه حزينة يتشبهون بالمفجوعين.

وقـــالوا لـــه: يا أبانا لقد أكل الذئب يوسف ونحن خجلون منك ولكننا غير مقصرين في ذلك.

قال يعقوب: كيف يحصل مثل هذا؟

قـــالوا: لقـــد تركـــناه عند متاعنا وذهبنا لنجمع ماشيتنا وفجأة سمعنا صراخه فذهبنا لنجدته فرأينا الذئب قد أكله وهذا قميصه وقد فجعنا بذلك ونحن شـــريكون غمك وحزنك فأخذ يعقوب قميص يوسف وكان يضعه على رأسه ووجهه ويبكي، ومن شدة حزنه على فراق يوسف فقد عينيه.

وفـــي نفس اليوم فكر إخوة يوسف بأن يرجعوا إلى المكان الذي كادوا فـــيه ليوسف ليراقبوا عاقبة أمره فلعله يحاول الرجوع فينكشف الأمر وجاءوا بالقرب من البئر وأخذوا يترصدون المكان وإذا بقافلة تريد أن تستقي من ذلك البئر، وعندما أدلوا دلوهم تعلق يوسف بالدلو وخرج من البئر، ولما رأوه حيا قـــالوا لـــــه بلهجة تهديد: إما أن تمتثل لأوامرنا وإلا فسنقضي عليك ونمحوا اســـمك مـــن كـــنعان. واصطـعوا الأكاذيب وصوروه عبدا آبقا كذابا عاصيا وبـــاعوه لرئـــيس القافلـــة، حيث كانت مسألة بيع الرقيق في ذلك الزمان من الأمور المتعارفة، وبعدما اشتروه نقلوه إلى مصر ولم يهتموا بكلامه ظنا منهم أنه كاذب، وفي مصر باعوا يوسف لعزيز مصر.

زوجـــة عزيز مصر والتي تدعى (زليخا) كانت عقيما، وعندما رأت يوسف أعجبت بجماله فقالت لزوجها نتخذه ولدا.

فقال لها عزيز مصر: يجب أن تهتمي برعايته وإذا رأيناه لائقا فسوف نـــتخذه ولدا، وأوكلوا لـــه عملا في بيت زليخا، وكان كلما يكبر يزداد جمالا



ويزداد حب زليخا وتعلقها به إلى حد وصل الأمر بها إلى أنها أصبحت هائمة في حبه وكلما كان يبتعد عنها وينصحها بالتعفف كانت تزداد حبا وعشقا، وقد أحسَّ بالأمر جواري زليخا وصديقاتها وأخذوا يوجهون لها اللوم، ولكن زليخا عقدت لهن مجلسا وأمرت يوسف بأن يخرج عليهن، فلما لاح لأنظارهن قطعن أيديهن حيث كان في يد كل واحدة منهن سكينا وكانت مشغولة بأكل الفواكه فأعطين العذر لزليخا، ولكن يوسف كان مؤمنا لا يقدم على محرم، ولما أن زليخا كانت بعيدة عن الطريق المستقيم فكانت تحاول إقناع يوسف ليلبي لها ما تريد.

وفي يوم من الأيام وعندما كانا في البيت جاءت لتعرض نفسها على يوسف فأخذت تراوده وتلتمسه بأن يفعل معها المحرم فرفض طلبها وفر من بين يديها فتبعته وتعلقت بقميصه فتمزق القميص، وفي الأثناء دخل عزيز مصر عليهما البيت فشاهدهما لدى الباب، وبدأوا بالتحقيق مع يوسف وزليخا عما جرى وحكم القاضي لصالح يوسف لأن قميصه تمزق من ورائه، وأما زليخا وخشية الفضيحة فإنها حرضت عزيز مصر على أن يسجن يوسف وامتثل العزيز لأمرها وذلك ليسدل الستار على الحادث فسجن يوسف وهو بريء مما نسب إليه ولنأت إلى القرآن الكريم الذي صور هذه الحوادث بأحسن تصوير فنراه يقول في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ



السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۞ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[1].

وأرسلت زليخا عدة مرات إلى يوسف تطلب منه بأن ينزل عند رغبتها وستطلب له العفو من العزيز، وكان يجيبها في كل مرة بأن السجن أحب إلي مما تريدين أن أفعله، وسوف لن أقدم على عمل غير مشروع.

واستمر الأمر كذلك حتى أصبح يوسف منسيا في السجن سنين عديدة حيث انشغلت زليخا بأعمالها ونسيت يوسف.

وفي يوم رأى أحد السجناء مناما فأخبر يوسف بما رأى، فقال له يوسف: لقد ورثت علم تعبير الرؤيا من آبائي الأنبياء أما تعبير رؤياك فإنه

١- سورة يوسف، الآيات: ٢١- ٣٥.



سـيطلق سراحك من السجن وترجع إلى مزاولة عملك وأرجو منك أن تذكر العزيز بأنني بريء.

وما أسرع أن تحققت رؤيا ذلك السجين كما عبرها لـه يوسف وعاد إلى مزاولة عمله كخادم عند العزيز، ولكنه نسي أن يذكر العزيز بأمر يوسف، ومضت مدة وجاء يوم رأى فيه عزيز مصر مناما بأن سبع بقرات هزيلة تأكل سبع بقـرات سمانا وسبع سنابل يابسة تأكل سبع سنابل خضراء، وقد عجز جميع مفسري الأحلام عن تعبير رؤيا العزيز، وعندها تذكر الخادم الذي أطلق سـراحه من السجن تفسير رؤياه من قبل يوسف في السجن فأخبر العزيز بأن شخصـا فـي السـجن اسمه يوسف سبق وأن عبر رؤياه فكان تعبيره صادقا وتحققت الرؤيا كما فسرها، فتذكر العزيز يوسف واستدعاه إليه، فجاء يوسف ليفسر منام العزيز.

فقـال يوسـف: سوف تأتي على مصر سبع سنوات تزداد فيها النعم والأرزاق وتأتي بعدها سبع سنوات تجدب فيها الأرض فيجب أن تدخروا في فترة الخصب وزيادة النعم لسني الجفاف والقحط.

وفـرح العزيـز عندما أنبأه يوسف بما سيحدث وقال: إنه ليس بالهين توفـير أرزاق الناس لمدة سبعة سنوات وسأل من يوسف هل لك القدرة على تحمـل مسؤولية ذلك؟ فقال يوسف: إن الصحف السماوية جاءت بكافة العلوم وأنا مطلع على كل هذه الصحف.

فقـال لـه العزيز: إذن نطلب منك أن تساعدنا في حل هذه المشكلة لأننا حتى الآن لم نر القحط وليس لنا علم بالأسرار السماوية.

فقـال يوسف: أولا: يجب أن يثبت لديكم بأنني لم أرتكب ذنبا ولم أكن خائـنا ولم أستحق السجن وعندها سوف أقوم بتولي هذه المسؤولية كما يرام




وإلا فكيف يليق أن يتولى مسؤولية الخزانة شخص اتهم بالخيانة؟

فأعاد عزيز مصر التحقيق في القضية من الذين كانوا شهودا في الحادث، وهنا اعترفت زليخا بحقيقة الأمر وشهدت ببراءة يوسف من التهمة بعد أن يئست من تحقيق مآربها معه وقد ندمت على ما فعلت، فعفا عنها العزيز وولى يوسف ولاية مطلقة على خزائن الأرض.

وتولى يوسف زمام الأمور وأمر أن يقوموا بمضاعفة الجهود لإنتاج أكبر محصول زراعة في السنين السبع الأولى وأن تحزن المحاصيل في سنابلها كي لا تفسد.

والآن لنرى كيف يصور القرآن الكريم ما ذكرناه بأحسن القول والتصوير: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۝ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ



الصَّادِقِينَ ۝ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾(١).

وفي هذه السنين كان يوسف يفكر بوالده ولكن لطفه ومحبته لكونه نبيا جعلته يفكر في عدم فضح أمر إخوانه، وكان يعلم أن الرؤيا التي رأى فيها أن الكواكب والشمس قد سجدت لـــه سوف تتحقق كما أرادها وكان يعقوب يفكر أيضا بأمر يوسف ليلا ونهارا ويحدثه قلبه بأن يوسف في كنف الباري سبحانه وأن رؤيـــاه سوف تتحقق فإن رؤيا الأنبياء رؤى صادقة وحقيقية فكانا صابرا يرجو تحقق الوعد الإلهي.

واســـتمر الأمـــر هكذا إلى أن جاءت سنون القحط والجوع وفي هذه الأثـــناء مات عزيز مصر ولم يكن هناك من يتولى زمام الأمور من بعده ولا يوجـــد ألـــيق وأجل من يوسف لهذا الأمر لذا فقد اختير يوسف لخلافة عزيز مصـــر وقـــيادة الـــبلاد ووقتها كان القحط والجوع قد بدأت آثاره على منطقة كـــنعان وحوالـــيها، وقد انتشر خبر توفر الخيرات والأرزاق في مصر ففكر أولاد يعقـــوب بالسفر إلى هناك ليشتروا حبوبا لأسرتهم، فسألهم يعقوب: أيكم يريد السفر؟

فأجابوه: كلنا نريد أن نسافر لأننا سمعنا بأن عزيز مصر قد خصص لكـــل قادم إلى مصر حمل بعير من الحنطة لكي يستطيع الجميع من الحصول علـــى الأرزاق، ونحن أحد عشر أخا فإذا ما ذهبنا جميعا نستطيع أن نحصل على أحد عشر حمل بعير.

١- سورة يوسف، الآيات: ٤٢- ٥٤.


فقال لهم يعقوب: ليذهب عشرة منكم وليبقى بنيامين بقربي كي لا أبقى وحدي ولأشم منه رائحة يوسف وآمل أن تأتوا لي بخبرٍ عن يوسف. فتهامسوا بينهم: إن أبانا لا زال يتذكر يوسف.

ووصـل أولاد يعقوب إلى مصر ولأن الحبوب كانت شحيحة ونادرة فـإن المتعارف كان بأن يطلع على طلب شراء الحبوب بالنسبة للقادمين على مصر العزيز نفسه ليعرف بأن الحنطة إلى أي مكان ستصرف وعندما حضر إخوة يوسف بين يدي يوسف عرفهم ولكنهم لم يعرفوه وتظاهر يوسف بأنه لا يعرفهم وسألهم عن أسمائهم وعنوان محل إقامتهم وقال: لقد انتشر بين الناس صـيتا طيـبا ليعقوب أرجو إبلاغ سلامي ليعقوب وكافة أهالي كنعان وبعدها سألهم عن عددهم.

قالوا لـه: في الحقيقة إنا أحد عشر أخا.

فقال: فلماذا لم تأتوا جميعا؟

فقالوا: لقد أبقى أبونا أخانا الأصغر قربه لكي يشم منه رائحة يوسف.

فسألهم: ومن هو يوسف؟

فأجـابوه: إنـه الأخ الأصغر لنا وقد أكله الذئب وهو وبنيامين من أم واحدة.

فقـال يوسف: حسنا إذا أتيتم ثانية فأتوا بأخيكم بنيامين فإني أحب أن أرى أبـناء العائلـة مجتمعين، وأمر أن يبيعوا لهم عشرة حمول من الحنطة وسـرا أمـر العامليـن في المخازن بأن يضعوا ثمن الحنطة الذي أخذوه من إخوته في حمولتهم وجدوا ثمنها قد رد إليهم فقالوا لأبيهم: حقا إن عزيز مصر رجـل رحـيم وجليل القدر لقد أرجع لنا كل نقودنا وأثنى عليك فشكر يعقوب ربـه، وبعـد مدة اضطر إخوة يوسف للذهاب إلى مصر ثانية لشراء الحبوب




وقـــالوا: فـــي هذه المرة يجب أن نأخذ بنيامين معنا وإلا فإن العزيز سوف لا يبيعـــنا الحبوب، وأقنعوا يعقوب بذلك وأخذوا معهم قليلا من المال وقالوا: إن العزيز لا يطمع في المال الكثير، ومرة أخرى جاؤوا إلى عزيز مصر فدعاهم إلى ضيافته، واغتنم الفرصة لكي يعرف نفسه على بنيامين خفية وقال لـــه: لا تذكـــر هـــذا الأمر لأحد وإذا ما حدث حادث فالزم الصمت وحتى لو اتهمت بشـــيء وذلـــك لكي أقوم بتدبير الأمور وجلب أفراد العائلة إلى هنا، وبعد أن انـــتهى أولاد يعقوب من أخذ حمولتهم وعزموا على المسير نادى المنادي من خلفهم مهلا أيتها القافلة فإن المكيال الذهبي قد ضاع وويل لمن نجده عنده.

فقال إخوة يوسف: نحن لسنا بسارقين.

قالوا: لا مناص لا بد من تفتيش الحمولة.

وفتشـــوا الجميع وتركوا بنيامين آخر من فتشوه فأخرجوا المكيال من حملـــه، فعـــندها قال يجب أن يبقى صاحب الحمل موقوفا لدينا ولا يحق لـــه الخروج من هنا وإذا أردتم أن تأخذوا حمله فذلك لكم ولكنه يجب أن يبقى لكي ينال جزاء فعله.

وألـــح إخوة يوسف إلحاحا شديدا على طلب العفو عن أخيهم وحاولوا عـــدم إبقائـــه لأن أباهم ينتظرهم وهو رجل طاعن في السن ولا يتحمل فراق بنيامين، ولم يجد إلحاحهم.

وجاء أحد إخوة يوسف ليقول ليوسف: أيها العزيز إذا كان بنيامين قد ارتكب ذنبا فإني أرجو أن تحتجزني محله لأني أعطيت عهدا لأبي بأن أرجعه فقال لهم يوسف: هذا غير ممكن لأننا لا نعاقب شخصا بجريرة الآخر.

ويئسوا من اصطحاب بنيامين فتركوه ورجعوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصة وأظهروا أسفهم على ما حدث.




فقـال يعقـوب: إنني أعلم أن بنيامين ليس بسارق وإن الذئب لم يأكل يوسف والله أعلم بحقيقة ما يجري.

وبعدها كتب يعقوب رسالة إلى عزيز مصر قال فيها: إنني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وإننا نؤمن بالله وباليوم الآخر، أما أنا فقد أصبحت شيخا ومنذ مدة طويلة فقدت ولدي يوسف وقد ابيضت عيناي من الحزن عليه والآن أخذت مني بنيامين وأنا أعلم أن بنيامين لم يسرق المكيال لأنه لا يوجد في أسرتنا سارق، وأرجو منك أن لا تكون سببا في زيادة حزني وهمي لأني لازلـت أبحـث عن يوسف وأنا في وضعي المؤلم هذا أرجو منك أن ترد لي بنيامين لتنال رضى الله والسلام.

وقال يعقوب لأولاده: اذهبوا جميعا برسالتي هذه وسلموها إلى العزيز وهو رجل طيب القلب، وقلبي يعلمني بأنكم سوف تجدون يوسف بالإضافة إلى بنياميـن. وجـاء إخوة يوسف برسالة أبيهم إلى العزيز وقالوا لـه: إن أبانا تحمل الكثير من الحزن والأسى لفراق يوسف وهو لا يستطيع أن يتحمل فراق بنيامين.

فقـال لهـم العزيـز: إذا كان الأمر كما تقولون فلماذا لا تبحثون عن يوسف؟

قالوا: إن الذئب أكل يوسف فكيف نعثر عليه إننا عاجزون عن ذلك.

فقـال العزيـز: أنـا لا أظن أبدا أن الذئب قد أكل يوسف وأعتقد أن يوسف سقط في البئر ثم بيع إلى تجار الرقيق.

وهـنا ظـن إخوة يوسف بأن بنيامين قد أفشى سرهم فاستولى عليهم الخوف وقالوا: لا علينا بذلك إن قلوبنا تحترق لحال أبينا.

فقـال لهـم يوسف: ألا ترون يوسف فهل تفرحون لذلك أو تتذكرون




رؤيـــاه وتستهزئون به من جديد، فاصفرت وجوههم من الخجل وقالوا: إذا ما وجدنا يوسف فإننا سنفرح ولكن الله قدر أن نفقده.

فقـــال لهـــم العزيـــز: إذا كنت تفرحون في لقاء يوسف فانظروا إلى وجهي، عندها كشف عن رأسه فتجسدت أعينهم ملامح يوسف فعرفوه وكأنهم أفاقوا من رقدتهم وخجلوا خجلا شديدا إلى حد فقدوا شعورهم.

أمـــا يوســـف فقد أخذ بتسكين روعهم وقال لهم: إن إرادة الله لا تتبدل وأنـــا بدوري أعفو عنكم؛ والآن اذهبوا إلى أبي بهذا الخبر السار وخر إخوة يوســـف إلى الأرض ساجدين عندما رأوا عظمة يوسف وصفحه عما اقترفوه بحقه.

وأعطـــاهم يوسف قميصه وقال لهم: اذهبوا بهذا القميص الحقيقي إلى أبي وأعطاهم إياه بدلا من القميص الذي لطختموه بالدم الكاذب وقولوا لـــه إن أيام الحزن قد ولت وإن الذي أراده الله سبحانه وتعالى قد تحقق.

وأرسل يوسف معهم هدايا لكافة أفراد عائلة يعقوب.

وما إن وصل قميص يوسف إلى يعقوب وشم رائحته عندها سر بذلك ســـرورا كبيرا ورجع إليه بصره وبدوره عفا عن أولاده مقابل فرحه بسلامة يوسف.

بعدهـــا ذهب يعقوب وأسرته إلى مصر تلبية لدعوة يوسف وفي أول لقاء حيث وقع الجميع ساجدين لله شكرا على ما حدث.

قـــال يعقـــوب: لقـــد تحققـــت رؤيـــا يوســـف حيث وصل إلى مقام العـــزة والـــرفعة ونحن قد انتهى حزننا وغمنا، واتخذ أولاد يعقوب من مصر محـــلا لإقامـــتهم ولأن يعقـــوب كـــان يسمى إسرائيل لذا فإن أولاده يسمون ببني إسرائيل.




وقد ازداد عددهم حتى بلغ عددهم في عصر موسى بالملايين ولكنهم لـــم يستمروا بحكم البلاد حيث لاقوا الصعوبات والأذى من أيام حكم فرعون مصر.





أيوب عليه السلام إمام الصابرين وسيد الشاكرين

معجزات أيوب:

١- أجـــاب الله تعالى دعوته فرد عليه عافيته وكشف ما به من ضر.

٢- أتاه الله عز وجل أهله ومثلهم معهم رحمة منه سبحانه وعبرة لمن أراد أن يحذو حذوه فيسير على نهجه.

وصدق الحق سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الانبياء: ٨٤)





أيوب عليه السلام

يرجع نسب النبي أيوب من الأب والأم إلى هود ويعقوب وكان عصره بعد عصر يوسف عليه السلام وقد شهد أيام عز بني إسرائيل، ولكنه بعث في أيام محنة بني إسرائيل، وكان معروفا بالشكر والصبر مواظبا على العبادة متحليا بالصبر متجملا بالشكر، وكان يدعو الناس لعبادة الله والشكر على نعمائه وينهاهم عن الركون إلى الظالمين وعبدة الأوثان وأهل الضلالة، ولأنه كان ذا نعمة وجاه وغنى فكان إبليس يوسوس في صدور الناس وذلك لينظروا إليه نظرة حسد ولا يطيعوا أمره.

وكانوا يقولون أن أيوب إنما يعظ الناس فذلك ناتج من رفاهة وعدم حاجته، والحقيقة فإن أيوب كان صادقا في إيمانه وقد جعل الله سبحانه وتعالى من حياة أيوب وسيلة لاختبار الناس، فقد أخذت نعم أيوب تزول شيئا فشيئا حيث أغرق السيل ماشيته وانهدم منزله واحترقت مزرعته واغتصب بستانه من قبل الحاكم المشرك آنذاك، وكان أيوب صابرا شاكرا لله، ويدعو الناس للقسط والعدل.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [1].

وكان الشيطان يوسوس لقومه أن أيوب لا علم له بمعاناتكم لأنه يعيش برفاه بين أهله وأولاده.

١- سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤.




وأصيب أيوب بمرض عضال بعد أن مات أولاده حيث أصبح لا يرى طعمـا للـراحة ورغم ذلك فقد كان يشكر الله وينصح الناس بالصبر والعبادة واتباع الطريق المستقيم.

ومرة أخرى يوسوس الشيطان لقومه بأن أيوب أصبح مصابا بمرض معد وسوف يسري مرضه إلى كل الناس فما كان من قومه إلا أن أخرجوه ن المديـنة حيـث ذاق مرارة العيش في الصحراء وكان صابرا شاكرا وكانت امرأته تتكسب وتقوم بخدمته، وجاء يوم لم يبق لديهم ما يسدون به رمقهم ولم تجـد زوجـته عمـلا تتكسـب منه فلم تتمكن من الحصول على لقمة العيش فجاءتهـا امرأة من طبقة الأشراف لتشتري منها شعرها الجميل كي تزين به النساء، وامرأة أيوب لم تر حيلة للحصول على الغذاء غير بيع شعرها.

ووسوس الشيطان لأيوب حيث قال لـه أن امرأتك سرقت في المدينة وعوقبـت بقـص شعرها، وعندما رجعت زوجته رأت أيوب حزينا، وعندما رأى شـعر امـرأته قـد قص تأوه آهة شديدة وقال إلهي ما أعظم حلمك فلو عوفيت من هذا المرض لأضربن زوجتي مائة ضربة بالسوط.

قـال تعالى في سورة (ص) يصور هذه الحوادث: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1].

روي عن النبي ﷺ أعظم الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل وإنما ابتلى الله عـز وجـل أولياءه بالبلاء العظيم حتى يهون البلاء على سائر الناس ولكيلا

١- سورة ص، الآيات: ٤١- ٤٤.



يحتقروا ضعيفا لضعفه ولا فقيراً لفقره ولا مريضا لمرضه وليعلموا أنه سبحانه وتعالى يسقم من يشاء ويشفي من يشاء بأي سبب شاء ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشقاوة لمن شاء، وقد ابتلى عبده أيوب بأشد أنواع البلاء على نفس الإنسان فسلبه نعمه الظاهرية الدنيوية فلم يبق له مالا ولا ولدا ولا صحة، نعم أبقى له عقله وسمعه وبصره ولسانه امتحانا له واستكشافا لمقدار إيمانه وانقياده وثباته وعزمه وأنه لن يتزعزع أو يلتفت لغير خالقه لغير سيده، لغير إلهه، لغير صاحب نعمه وهو سبحانه العليم بسرائره وكمال إيمانه وحرصه الشديد على رضا ربه وإنما ابتلاه ليثيبه ويعلي في الدنيا والآخرة درجته.

لقد أخبر سبحانه وتعالى نبيه ورسوله المصطفى عما جرى من قصة أيوب في سورتي الأنبياء وص وأوعز إليه أن يتذكر ما أصابه ويعلم أمته ويذكرهم بقضيته كي ينتفعوا ويتعظوا، وإن الحالة لما اشتدت به ووقع في محنته العجيبة التجأ إلى من بيده الوضع والرفع رافعا طرفه إليه خاضعا ذليلا مسكينا مستكينا معرضا بحاله وبمحنته وما لاقاه من كيد الشيطان الرجيم ووسوسته إلى الناس حتى بعدوا عنه وأبعدوه وتنفروا منه وأخرجوه من بينهم ومنعوا الصالحة زوجته رحمه أن تدخل عليهم فثقل ذلك وتلك الحالات من اللعين الشيطان الرجيم وأتباعه من جنسه وغير جنسه وكان اللعين يأتي لأيوب ويقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربك وكان يذكره ما كان فيه من النعمة البالغة والنعيم بالمال والأهل والولد والصحة والاجتماع بخلق الله وقربهم منه ويذكره مقاماته ومجالسه ومواصلاته ويدعوه إلى القلق والضجر وتوشوش البال وتغير الحال فعرض بخاطبه لربه داعيا له لإزالة ما به من البلاء والمكروه المسببة عن وسوسة الشيطان وكان اللعين طامعا في أن



يستزله ويوقعه في المهالك ولكنه كان حذرا من مكره فكان صابرا وإلى حكم ربــه مسالما فلا يزيده ذلك إلا تمسكا بإيمانه ودينه وربه فكان ذلك منه سببا لرفع المحنة عنه وإفاضة النعم من سيده ومولاه.

وفــي هــذه الظــروف الصــعبة زاره مجموعة من السائرين بركب الشــيطان ليطلعوا على حاله ولكنهم أخذوا يشمتون به بقولهم: لو لم يكن لك ذنــب فلــن تبتلى بهذا البلاء، فتأثر أيوب من شماتة هؤلاء فتضرع إلى ربه بقولــه: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين حيث أخذ الناس يتهموني ويشــمتوا بي. وقد دام ابتلاء أيوب ثمانية عشر عاما مات في أثنائها السلطان الوثنــي فعــاد بستان أيوب إلى ملكه وعادت إليه النعمة والرفاة، ووفى أيوب بقســمه حيــث قام بضرب زوجته بخصلة من الحنطة تحتوي على مئة سنبلة تخفــيفا عن مائة ضربة متفرقة بالسوط إكراما لوفائها أيام ابتلائه حيث ثبت لــه أنها بريئة.

بعدهــا اختير أيوب نبيا وعاش ثمانية وأربعين سنة أخرى ورزقه الله ولــدا صالحا اسمه (شموئيل) وأخذا يدعوان الناس إلى الالتزام واتباع الهدى، ولكــن أكــثر قومه كانوا من أهل الضلالة على الرغم من أنهم شاهدوا ثبات أيــوب فــي البلاء، واستمر أيوب يدعو الناس إلى اتباع الطريق المستقيم بما أوتي من قوة إلى آخر عمره، وبما أنه كان متسعينا بالصبر والشكر فقد تحمل عصــيان قومه وكان لا يدعو عليهم بالعذاب ووقتها كان بنو إسرائيل يمرون بأيــام عصــيبة حيث العيش صعب على المتدينين منهم. وقضى أيوب أيامه صابرا كان يوصي المؤمنين بمداراة الآخرين حتى يأتي الفرج.





شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء

معجزة شعيب:

١- فصاحة اللسان، وقوة الحجة.





شعيب عليه السلام

كــان شــعيب معاصرا لنبي الله موسى عليه السلام وهو عربي من سلالة إسماعيل، فقد بعث من العرب خمسة أنبياء هم: هود، صالح، إسماعيل، شعيب وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وكان يقال لــه خطيب الأنبياء لأنه كان أفصحهم قبل أن يبعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولبراعته في إقامة الحجة على قومه ودحض حججهم وشعيب من أهل مدين وهي مدينة خضــراء لكــثرة الأشــجار فيها، فقد كانوا من عبدة الأوثان ولذا سمي قومه أصحاب الأيكة، وكان شعيب يرعى الأغنام وعنده أغنام كثيرة وأما أهل مدين فقــد كــانوا يظلمون شعيبا ويظلمون أنفسهم ومن ظلمهم أنهم كانوا يبخسون الناس في الكيل والميزان فكان شعيب ينصحهم بأن يلتزموا الصدق والاستقامة لكــي تنزل عليهم البركة وتشملهم الرحمة ونتيجة للأذى الذي لاقاه أهل الشام مــن أصحاب الأيكة فقد آمن بعض منهم بشعيب وكان بينهم وبين أهل مدين خلاف.

وعــندما بعــث شــعيب آمــن به ثلة قليلة من قومه وأما الباقون فقد استمروا على ضلالتهم.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ



الحاكمين۝ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾(١).

والسُّوَر التي تعرضت لقصة شعيب هي: الأعراف، هود، الشعراء، العنكبوت، وغيرها حيث أن الآيات كثيرة والمضمون في جميعها متقارب ومدين اسم قريته وفيها قبيلته وأب القبيلة هو مدين بن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه وكذلك القرية، وشعيب من تلك القبيلة، ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾...إلخ. أي وأرسلنا شعيبا أخاهم إلى مدين وقد بعث أيضا إلى أصحاب الأيكة وهم أيضا أصحابه، وقد ذكرنا أن الأيكة في قرب مدين وهي بلاد كثيرة المياه والأهوار والأشجار، فأتاهم بما أتى به جده الخليل عليه السلام من قبل ربه العلي القدير عظمت كبرياؤه، أتاهم بأحكام شرعه وقوانينه العادلة فأمرهم بالعدل والإنصاف في وزنهم وكيلهم فلا يبخسون في الوزن حين بيعهم لغيرهم ولا يطففون في الكيل والوزن فيستوفون زائدا حين يبتاعون ويأخذون من غيرهم وأن يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وقد بذلوا جهدهم في إبطال دعوة شعيب عليه السلام وكانوا يقولون له: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ كانوا يحتقرون شأنه بقولهم له: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ ثم يهددونه بقولهم له: ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فلما ضايقهم بحججه وأبطل مزاعمهم اجتمع الملأ منهم وهددوه والذين آمنوا معه بإخراجهم من القرية إذا لم يرجعوا عما هم عليه ويدخلون في ملتهم ودين قومهم بقوله: ولوكنا كارهين، إنا نكون قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم ودينكم بعد أن

١- سورة الأعراف، الآيات: ٨٥- ٨٨.



نجانـــا الله منها بالهداية إلى دين الحق، وإنما يكون ذلك إن أراد الله أن يخذلنا ويبعدنا عن داره وجواره[1].

أما عشيرة شعيب فقد كانوا مكرمين وأصحاب سمعة طيبة فكان قومه يقولون لـــه: لولا عشيرتك لأخرجناك من المدينة فأنت تكذب علينا بالرغم من كونـــك فرد منا - فإذا كنت صادقا فيما تقول فأتِ لنا بسحابة تظلل علينا من الشـــمس وكلمـــا جاء السحاب فكانوا يتحججون بأن يجب أن يصحبنا أين ما ذهبـــنا وكـــانوا يختلقون الأقاويل والذرائع ليؤذوا شعيبا ولم ينتهوا من الظلم والفساد، وبعد أن أتم شعيب الحجة عليهم أنذرهم بنزول العذاب عليهم، ولكن أصحاب الأيكة كانوا في ضلال مبين، ولذلك أصروا على عنادهم بالرغم من إنذاره لهم، وأخيرا أخرجوا شعيبا ومن اتبعه من بينهم فاستحقوا العذاب حيث نزلـــت علـــيهم صاعقة من النار فأحرقتهم، بعدها قام شعيب ومن اتبعه ببناء مساكن لهم بجوار مدين وعاش هناك حتى جاءه موسى من مصر حيث أصبح شيخا كبيرا طاعنا في السن.

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم، العاملي.





موسى الكليم عليه السلام

معجزات موسى:

١- كلَّمَه الله عز وجل.

٢- العصا واليد.

٣- انفلاق البحر.

٤- انفجار الحجر اثنتا عشرة عينا.





موسى كليم الله عليه السلام

كـان موسـى من بني إسرائيل ويلقب بكليم الله، وهو ثالث أنبياء من أولي العزم بعد نوح وإبراهيم، وقد جاء موسى بكتاب وشريعة سماوية، وكان يريد أن ينجي بني إسرائيل من محنتهم.

وموسى بن عمران من سلالة لاوي بن يعقوب الذين كانوا يعيشون في مصر في عهد يوسف.

وكـان بـنو إسرائيل يعيشون حياة المحنة، وبالرغم من كثرة عددهم إلا أن فـرعون حـاكم مصـر لـم يقم لهم وزناً لأنه كان من عبدة الأوثان وبـنو إسـرائيل مـن سـلالة الأنبياء، فكان يضيق عليهم ويكلفهم بالأعمال الشـاقة شـأنهم شـأن العبـيد والرقـيق وقد أمَّر عليهم الأقباط المصريين وكـان فـرعون مـن سلالة عاد وقد اطلع على قصة عاد وثمود وكان يذل بنـي إسـرائيل خوفـاً مـن أن ينبعث من بينهم نبي فإنه كان يعرف يعقوب ويوسـف وأيوب حيث أنه كان خائفاً من الأنبياء لأنهم يدعون إلى عبادة الله، بيـنما هـو يـرى أن الكـبرياء يجـب أن تكون لـه وليس لغيره لأنه كان مقـتدراً ومسـيطراً، وقـد حكـم الفراعنة مصر لسنين طوال وأجبروا أهلها على الانقياد لهم.

وفرعون موسى كان أكثر الفراعنة قوة والأحرص على عرشه ودوام حكمه وفي يوم من الأيام أخبره الكهنة بأنهم استنتجوا من خلال حركة النجوم بأنـه سيولد خلال هذه السنة مولود من بني إسرائيل يأتي بدين جديد وسيكون علـى يديه هلاكك وسيسيطر بنو إسرائيل على الأوضاع في البلاد فيجب أن تفكر في هذا الأمر.





فقـــال لهم فرعون: لست برجل إن لم أُخيّب آمال بني إسرائيل إنكم لا تعرفون حقيقة فرعون جيداً.

وأمـــر فرعون ببثّ العيون في كل مكان ومن ذلك اليوم إلى مدة سنة بأن يذبحوا كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل وأن يبقوا البنات.

وقال: الويل لمن لا يخبر عيوننا عندما يولد لــه ولد.

وضـــاق العيش على بني إسرائيل أكثر من السابق، ومن تلك السنة لم يسلم مولود ذكر من القتل على يد آل فرعون.

لقــد ظلّ يراقب المواليد الذكور ويقتلهم وحسب الكهنة حساباً وغفلوا عن تقدير الله فإنه إذا ما أراد شيئاً فإنه سيكون لا محالة.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(١).

كـــان عمـــران من بني إسرائيل ومعروفاً بإحسانه وعبادته لله، عمله الزراعة والرعي، لـــه ابنة وولد، وامرأته كانت آنذاك حاملاً وعندما وضعت حملهـــا الـــذي كانـــت تخفـــيه عن آل فرعون حيث كان ولداً فأخفته مدة عن الأنظـــار حيث كانوا لا يؤمنون على أرواحهم وروح مولودهم الجديد لأنهم لم يعطوا خبراً عن هذا المولود، ولا يعرفون ما يفعلون.

وفـــي المـــنام رأت أم موسى أحد الملائكة جاء من جانب البحر وقال لـــهـــا سـلمي أمر هذا الطفل إلى الله لأنه إذا كان في رعاية الله أفضل مما يكون في البيت وكانت أمه امرأة عاقلة.

١- سورة القصص، الآيات: ٢-٤.




قالـــت: أوصـــتني الملائكة بأن ألقي موسى في الماء ليذهب إلى مار يـــريده الله لــــه، فهيأت لــــه تابوتاً ووضعت فيه الوليد وألقته في اليمّ وأوكلت أمره إلى الله.

لقد كان قصر فرعون مطلاً على نهر النيل الذي أُلقي فيه موسى ومن قضـــاء الله فقد كانت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون جالسة مع مجموعة من نديماتهـــا وخادماتهـــا علـــى ضفاف نهر النيل، وهي امرأة عابدة لكنها عقيم وكانـــت في ذلك الدلال والنعمة تتحرق شوقاً لكي تكون أم ويلد وفي جلستها تلـــك على شاطئ النيل كانت تأمل أن يتحقق أملها هذا، فكانت تذرف الدموع بعيداً عن أنظار الآخرين وفي تلك اللحظات سمعت نداءً من السماء قال لـــها: إن ألـــم الطلـــق ألم لا يطاق وسوف نرزقك ولداً بدون هذه المشقة بشرط أن تحافظي عليه جيداً.

وفجـــأة تـــراءى إلـــى عيـــن آسية شيئاً يسير من بعيد في الماء يشبه الصـــندوق فأوزعت إلى خدمها بأن يأتوا لها بالصندوق لعل فيه شيئاً نرجعه إلى أهله ليستفيدوا منه.

وعـــندما وصـــلوا إلى الصندوق وجدوا فيه ولداً، عندها تذكرت آسية دعاءهـــا وصوت المنادي فقالت في نفسها: إنه هو الذي وُعدت به، فانبسطت أســـاريرها وعلت وجهها البسمة وقبّلت الطفل وقالت: ما أجمل وألذ أن يكون لي ولد وأن أصبح أُماً.

فقال الخدمة: إن هذا الطفل ظهر إلينا من بين الأشجار والمياه وتحققت أمنيتك.

فقالـــت آســـية: لنســـميه باسم الماء والخضراء، فأسموه موسى وهم فرحين.



وأخبرت آسية فرعون بما حدث وقالت: نتخذه ولداً لكي تقر به عيوننا.

قال فرعون: أخاف أن يكون هو الذي أخبرني عنه الكهنة.

فقالت له آسية: إن الوقت الذي وعدوا به الكهنة قد انتهى فلا تخف وسنقوم بتربية هذا الطفل مثلما ترغب.

واستدعى فرعون كبير الكهنة وسألهم: ماذا تقولون عن هذا المولود الذي عثرنا عليه في المياه؟ ولا أدري من أين جاء؟

أما الكاهن فإنه قد فُجع بفقدان ولده فعندما نظر إلى موسى ابتسم موسى في وجهه فانبسطت أساريره وقال؛ إن الذي قلناه لكم يتعلق بذلك الوقت ونحن الآن لا جديد عندنا من علم النجوم فهدأ روع فرعون وقبل بالأمر وأخذ على عاتقه تربية موسى وقال؛ إذا ما بدا منه أمر يسوءنا فإن السلطة وقطع الرؤوس بأيدينا وفرحت آسية واهتمت بتربية موسى، أما الطفل فكان يعاني من الجوع وفقدان من يرضعه فقالت: يجب أن نبحث له عن مرضعة فأحضروا له مجموعة من المرضعات المعروفات ليرضعنه وينلن الفخر بذلك، ولكن موسى لم يرضَ بأي منهنَّ وكان يتلوى من الجوع وآسية مضطربة لا تدري ماذا تفعل؟

ومن جانب آخر فإن أم موسى علمت أن طفلا في بيت فرعون لا يقبل الارتضاع من المرضعات فأرسلت ابنتها لتعرف الخبر فجاءت أخت موسى واطلعت على الخبر، فقالت لهم: إنني أعرف مرضعة هل تريدون إخبارها؟

فقالوا لها: لا بأس لنجرّب.

فسألوها عندما حضرت: من أنت؟ فقالت: امرأة عمران ولديَّ طفل اسمه هارون ولا يزال يرضع وأستطيع إرضاع الطفل فقالوا لها: إذا قبل هذا


الطفل ثدييك فذلك يدعو على الفرح فقالت: آمل أن لا أُحرم من شرف إرضاعه. عندها أعطوها موسى فتقبل موسى ثدييها مبتسماً ومسروراً فرضع حتى شبع واستقر حاله ورجع الحق إلى أهله.

وفرحت آسية واتفقت مع امرأة عمران على إرضاعه، وسأل فرعون عن هذه المرأة المرضعة ولئلا تكون من بني إسرائيل؟

فقالت آسية: لقد شهد الناس بأن عائلة عمران عائلة معروفة بالإحسان إلى الناس وعدم الأذى والطفل لا يميز بني إسرائيل من غيرهم، فالناس يرضعون أطفالهم حليب الأغنام والمعزى والبقر فلم أرى طفلاً إلى الآن صار نعجة أو بقرة، فسكت فرعون ولكنه كان قلقاً.

وعلى أية حال فإن موسى كان يكبر ويترعرع في بيت فرعون وكان فرعون يأنس عندما يرى موسى يلعب في البيت.

ولنرجع إلى القرآن الكريم لنراه يصوّر لنا ما أوردنا بأحسن صورة: قال تعالى في كتابه المجيد ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وذات يوم كان موسى جالساً في حجر فرعون فأمسك فجأة بلحيته المزيَّنة بالجواهر بيد وصفعه بيديه الأخرى وأخذ يضحك في وجه فرعون

١- سورة القصص، الآيات: ٩-١٣.



فغضب فرعون وقال لامرأته: ألم أقل؟! رأيتي كيف صفعني؟! دعيني أتخلص من شره؟! أنا خائف من هذا الطفل.

فقالت لــه امرأته ليس من التعقل ولا يناسب شأنك أن تخاف من طفل بهــذا العمــر، إنه يلعب ولا يميز شيئاً وسنختبره وسترى، وأمرت آسية بأن يحضــروا لـــه طبقيــن أحدهما فيه جواهر حمراء والآخر فيه نار مشتعلة، وأطلقــوا موسى ليروا ماذا يفعل بهذين الطبقين، فاقترب موسى وهو في حالة اللعب من الطبقين فترك طبق الجواهر ومد يده إلى طبق النار وأخذ منه جمرة ووضــعها في فمه فاحترق، فصرخ باكياً. عندها قالت آسية لفرعون: ألم أقل لــك بأنــه طفــل يلعب ولا ينبغي أن يُخاف من حركاته. فهدأ روع فرعون واســتمر الحال حتى كبر موسى حث استمروا بتربيته حسب ما يريدونه لكي يطــبعوه حســب أوضاعهم، فكانوا لا يسمحون لــه أبداً بالخروج لوحده من القصر بل يرسلون معه مرافقاً بشكل دائم.

ولنرجع إلى حال آسية امرأة فرعون فقد كانت عابدة تُخفي عبادتها لله عــن موســى، وكذلك موسى فإنه يعلم أن إظهار العبادة لله في بيت فرعون أمراً.

ووصــل الخــبر إلــى موســى بواســطة أحد الموجودين في قصر فــرعون وهــو مؤمن آل فرعون الذي يسكن في بيت فرعون فأخبره بأن آل فــرعون اتفقوا على القضاء عليه ونصحه بالخروج من المدينة ليأمن شر آل فرعون.

قال تعالى في محكم كتابه الكرمي يصف ما ورد ذكره: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ



شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ۞ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ۞ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ۞ فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ۞ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ۞ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ۞ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ۞ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ۞ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ۞ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ۞ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾[١].

وعندما علم موسى بتفاقم الوضع ضده وأنه لا يستطيع بعد الآن العيش في بيت فرعون وفي المدينة ولكون ذهابه إلى بيت أبيه سيسبب له أذىً وظلماً من آل فرعون توكل على الله وقال في نفسه: يجب أن أذهب من هنا إلى يوم أعدُّ فيه نفسي وأرجع لأصفّي الحساب مع هؤلاء الظلمة إن شاء الله، ومن ذلك الوقت أصبحت حياة موسى مهددة بالخطر فخرج من المدينة خائفاً يترقب وأخذ يمشي لوحده في الصحراء ليلاً ونهاراً مبتعداً عن المدينة إلى أن وصل بالقرب من مدين وبالقرب من مدخل المدينة كان هناك بئر يسقي منه

١- سورة القصص، الآيات: ١٤- ٢١.


الـــرعاة ماشـــيتهم ويستسقون منه، وفي ذلك اليوم الذي وصل فيه موسى إلى ذلـــك البـــئر كانت ابنتا شعيب هناك تريدان سقي ماشيتهما حيث قام الرعاة بإغلاق فوهة البئر بصخرة كبيرة فعجزتا عن رفعها وكانتا في حيرة، وعندما وقـــع نظـــرهما على موسى قالتا لـــه؛ يا عبد الله لولا ساعدتنا على رفع هذه الصخرة من فوهة البئر ولك من الله الأجر والثواب، واستجاب موسى لطلبهما ورفـــع الصـــخرة وساعدهما على سقي الماشية، وبعد انصرافهما غسل يديه ووجهـــه وشـــرب من ماء البئر وجلس ليستريح حيث أعياه التعب، أما ابنتي شعيب فقد أخبرتا شعيباً بأن رجلاً غريباً ساعدهما على سقي الماشية وأنه ليس مـــن أهـــل مدين فقال لهم شعيب: الأفضل أن ندعوا هذا الغريب لنشكر لـــه عمله ونقدم لـــه الخدمة مقابل لطفه هذا.

فأرسل في طلبه، ولبّى موسى دعوة شعيب ولأنه يكره أن يسير وراء المرأة لكراهة سير الشاب خلف الشابة فقال لابنة شعيب: أنا أتقدم عليك وأنت أشيري لي على الجهة التي يجب أن أتوجه باتجاهها، حتى إذا وصلا إلى بيت شـــعيب سلّم موسى عليه حيث قرأ في وجه شعيب الهيبة والجلال، فقصَّ له قصّته.

فقـــال لـــــه شُعيب: اطمئن لقد نجوت من القوم الظالمين وفرعون لا يســـتطيع الوصـــول إلى هنا لأن مدين خارجة عن نفوذه وسلطانه. وإذا كان بإمكـــانك الإقامة عندنا فتساعدنا في أعمالنا لأنني شيخ كبير وليس عندي ولد وأن هذه المصادقات كلها خير، فأنا أرغب في أن أزوّجك إحدى بناتي وتعيش بيننا مقابل القيام برعي الأغنام لمدة ثمان أو عشر إذا استطعت.

وقبل موسى هذا العرض وتزوج ابنة شعيب وبقي ثمان سنوات يعينهم فـــي أعمـــالهم وكان يعيش عيشة راضية، ويوماً بعد آخر كانت بركة الأغنام




تزداد وكذلك المحاصيل الزراعية.

قال تعالى في كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام منذ أن خرج من مصر: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[1].

وقد مضى ثماني سنوات قال موسى: بالرغم من شوقي للرجوع إلى مصر لكي أقدم خدمة لبني إسرائيل ولكونكم قوماً صالحين فسأبقى بينكم سنتين أُخريين.

فقال له شعيب: ومقابل إحسانك هذا سوف أُكافئك بأن أعطيك كل نعجة سوداء تلد في أغنامي، وبعد سنتين أصبح موسى يملك مجموعة من الأغنام ولتحقق ما كان يصبو إليه توجه موسى إلى مصر مع زوجته وماشية مودعاً شعيب وقومه.

١- سورة القصص، الآيات: ٢١-٢٨.




وفي لحظات الوداع أهدى شعيب عصاه إلى موسى وقال لـــه: إن هذه العصا ورثتها من أجدادي وستستفيد منها في أعمالك.

وفـــي الطـــريق كان موسى يفكر بما يتمناه ويدعو ربه أن يمكّنه من النصرة والغلبة على فرعون وذلك لكي يُقدم خدمة للناس بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ويخلصهم من آل فرعون لتعلو كلمة التوحيد في كل مكان.

وقضـــوا في الطريق لياليَ وأياماً، وفي اليوم الخامس حيث كان وقت صلاة العشاء عندما مروا من وادي الأيمن حيث هبّت عاصفة شديدة فتفرقت أغنام موسى وكانت ليلة ظلماء وباردة وأخذ الرعد والوميض يصكُّ الأسماع، فلجـــأ موسى وزوجته التي كانت حاملاً آنذاك إلى تلٍ وأراد أن يشعل لها ناراً ولكنه كلما حاول فلم يوفّق فالحجر لم يولد لهم ناراً يصطلون بها وظل موسى فـــي حيرة. وفجأة تراءت إلى عينه نار من بعيد فقال لأهله: أذهب إلى هناك لكي آتي لكم بنار واتجه إلى جانب النار ومشى مسافة طويلة حتى وصل إلى شجرة كانت منيرة وفي ذلك العالم المملوء بالدهشة سمع موسى نداء يقول: أنا ربُّك يا موسى، وسأله عما في يده؟

فأجـــاب موسى: هي عصايَ أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى.

فأتاه النداء؛ بأن ألقِ عصاك.

وعندما ألقى موسى عصاه انقلبت العصا إلى ثُعبان فخاف موسى منه.

فأتـــاه الـــنداء يا موسى لا تخف وامسكها ثانية وأدخل يديك في جيبك تخرج بيضاء فلما أدخلها في جيبه خرجت بيضاء منيرة.

وهـــنا علم موسى عليه السلام أن ما يرجوه قد تحقق وأن الإمداد والنصرة الإلهية قد جاءته وصار كليماً لله فشكر الله على ذلك.




وجـاءه الأمـر بـأن يا موسى اذهب إلى مصر وادعو فرعون إلى الإيمـان وبعدهـا نـال موسـى درجة النبوة دعا ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي﴾.

وجاءه الجواب بأن دعاءك قد استجيب وقد عززناك بأخيك هارون.

ولأن موسى تكلم مع الله فقد سُمِّي كليم الله.

ومـن هنا توجه موسى فوراً إلى مصر، وعندما رأى أخاه هارون في الطـريق بشَّره بالأمر وأخبره بأنهما أصبحا نبيين وقال لـه؛ يجب أن نذهب إلى فرعون وندعوه للإيمان ونقوم بإصلاح أمور الناس الدينية والدنيوية.

فقال هارون: كيف يُصدقون كلامنا؟ هل لديك معجزة؟

فأخـبره بمعجزة العصا واليد البيضاء عندها اشتدَّ عزم هارون وقال لموسى لنذهب الآن إلى البيت ومن الغد نبدأ بعملنا.

فأجـاب موسـى: يجب أن لا نتأخر في الدعوة إلى الحق، أنت اذهب وابدأ بدعوة الناس وزفَّ البشرى إلى الأصدقاء والأقرباء وأنا أذهب من توّي وبلباس السفر إلى فرعون لكي أقول لـه كلمة الحق.

قـال تعالى في كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام في طريقه إلـى مصر: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ۞ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ





﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[١].

وجـــاء موســـى إلـــى قصر فرعون وتوجه فوراً إلى مجلس فرعون وعـــندما دخل المجلس قال: إنني أنا موسى وقد أصبحت الآن نبياً وأتيت لكي أقول لك يجب أن تؤمن بالله الواحد الأحد وأن تمتنع من ادعاءاتك الباطلة وأن ترفع يد الظلم والجور عن بني إسرائيل لأنهم أحرار والعاقبة للمتقين.

وامتلكت فرعون الدهشة عندما رأى موسى لأول وهلة وأخذته الرعدة عـــندما ســـمع كلامـــه لأنه لم يسمعه لحد الآن شخص يخاطبه بهذا الأسلوب الصريح.

فأجابـــه فـــرعون: أن لا تستعجل يا موسى واصبر لقد رُبيت في بيتنا والآن وبعد أن غبت عنّا سنين جئت تخاطبنا بهذا الأسلوب الذي يصعب علينا سماعه.

فسأل موسى: ألا يعتبر ظلمك للناس أمراً صعباً عليهم؟

إننـــي مُرسل إليك كي أكلمك في بداية الأمر باللين والنصيحة وإذا لم يجـــد الكلام معك فسوف ترى ما لا يرضيك فقال فرعون: إذا كنت كذلك فإن للأنبياء معاجز.

لقـــد ذهبـــت من بيننا بذلك اللباس الفاخر وكنا نعتبرك مجرماً، والآن تـــتكلم هـــذا الكلام وأنت ترتدي لباس الرعاة. هل تريد أن آمر بإلقاء القبض عليك ومحاكمتك بجريمة القتل؟

فقـــال موســـى: لقد ذهب ذلك اليوم الذي تستطيع فيه أن تلقي القبض عليَّ وجاء اليوم الذي يجب أن تؤاخذ بما ارتكبته من جرائم، وهاك معجزتي

١- سورة القصص، الآيات: ٢٩-٣٢.





التي تثبت صدق كلامي.

فـألقى موسـى عصـاه وإذا بها ثعباناً يُهاجم الجالسين حول فرعون فصـرخ فرعون: يا موسى أُقسم عليك بحق الحنان والعطف الذي شملتك به آسية امسك ثُعبانك ودعني أفكر.

فأمسـك موسى بالعصا وقال: كرامة لقسمك هذا أعطيك مهلة إلى يوم غـد كـي تجمع أفكارك وتستعد للإيمان بالحق تعالى وأنا سوف آتي غداً مع أخي هارون. لنتمم عليك الحجة.

لقد ألقى موسى فرعون في بحر من الحيرة والدهشة ورجع إلى بيته، أما فرعون فقد تشاور مع المقربين منه وسألهم ماذا سنعمل؟

فنصحوه أن يتكلم معه بلطف وإن عصاه إنما هي سحر يستطيع الكهنة إبطاله.

وفـي الصـباح عندما جاء موسى وهارون إلى فرعون أخذ فرعون يجادلهما فمرة يتكلم معهما بأسلوب الشدة والتهديد، ومرة باللين.

واسـتمهلهما قـائلاً: إننا نستطيع أن نأتي بمثل عصاك فتصبح ثُعباناً ودعا السحرة لأن يأتوا بسحرهم.

وعـندما جـاء السـحرة بعصـيهم وحبالهم وألقوها فخيِّل أنها تسعى كالحـيّات، عندها ألقى موسى بعصاه فأكلت ما صنعوا وشيئاً فشيئاً أخذ الناس يؤمنون بموسى.

واشـتدت عـزيمة بني إسرائيل، وأما فرعون فقد امتلكه الخوف من جانـب ومـن جانب آخر كان غير مستعد للتنازل عن ملكه والإيمان بشريعة موسى، وأخذ يماطل لمدة، فمرة يعطي عهداً بالإيمان وأخرى يطلب مهلة وفي الأثناء كان يرى من موسى معاجز جديدة.



وفـــي النهاية قرر فرعون القضاء على موسى بوسوسة من الشيطان وعـــبدة الأوثـــان، أمـــا موســـى فكان يريد أن يخلّص بني إسرائيل من ظلم فـــرعون بإخراجهم من أرض مصر ليستقروا في الأرض التي وعدها الله لهم لكـــي يـــنجوا مـــن ذل الحقـــارة التـــي كـــانوا يعيشونها ويرسم لهم طريق العيش الرغيد.

قـــال تعـــالى في كتابه الكريم يصف كيفية ذهاب موسى إلى فرعون: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

إلـــى أن يقول: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ



مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١).

واستغل موسى المهلة التي أعطاها لفرعون فأمر بني إسرائيل أن يستعدوا وأن يحملوا معهم ما يستطيعون حمله ليخرجوا معه من مصر لكي ينالوا ما وعدهم الله به، وعندما اطلع فرعون على نيَّة بني إسرائيل على الهجرة قال في نفسه بأنهم يريدون الفرار سأجمع جيشي وأقضي عليهم جميعاً.

وفي الليلة التي كان فيها بنو إسرائيل خارجين من مصر كانت قوات فرعون تطاردهم وكان البحر في طريقهم، ولما وصلوا إلى البحرضرب موسى بعصاه الماء فانشق البحر وأخذ بنو إسرائيل يسيرون في طريق يابس بين المياه، وعندما اجتازوا البحر كانت جيوش آل فرعون تتعقبهم في وسط البحر فأمر موسى ماء البحر بأن يطبق عليهم وغرق آل فرعون وأثناء الغرق نادى فرعون إني آمنت بربّ موسى وهارون فجاءه الجواب بأنك من المغرقين ولكنك ستنجى ببدنك لتبقى عبرة للآخرين.

وفي مصر أخذ مؤمن آل فرعون الذي كان حليف موسى يروج الأحكام الإلهية، أما موسى وبنو إسرائيل فإنهم وصلوا إلى صحراء تيه جاسان.

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً

١- سورة الشعراء، الآيات: ١٠-١٧، ٢٩-٤٨.





﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[1].

أما بنو إسرائيل فكانوا لا يأتمرون بأمر موسى لكي يقوموا ببناء حياتهم من جديد وكانوا يطلبون منه أموراً تعجيزية، أما في أوقات التضحية فإنهم كانوا يتهربون متوسلين بالحجج والحيل والذرائع ولأنهم لم ينقادوا لأمر موسى عليه السلام فإنهم تاهوا في الصحراء ولم يصلوا إلى الأرض الموعودة، وكان مما طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب جامع للأحكام وآداب الشريعة فقرر موسى أن يذهب لمدة شهر إلى جبل طور ويعبد الله لينزل عليه الكتاب وأمّر هارون عليهم لينظم شئونهم، وذهب إلى طور سيناء واستمرت مدة غيبته عن بني إسرائيل أربعين يوماً حسب الإرادة الإلهية، ولما طالت غيبته قام رجل يدعى سامري وبأمر من الشيطان بنحت تمثال عجل من الذهب وكان له خوار وصوت فقال لهم إن روح الله دخلت في هذا العجل ولذلك أبطأ موسى علينا وأخذ الناس يعبدون العجل ولا يأتمرون بأمر هارون، وعندما عاد مرسى إلى قومه يحمل الألواح التي كُتبت فيها آيات التوراة وجدهم قد ارتدُّوا فغضب موسى عليهم وقضى على السامري الدجّال وعجله ووبّخ هارون على تركه القوم يقومون بهذا الفعل.

فقال له هارون: يا أخي لا تؤاخذني بمرأى من بني إسرائيل فإنهم لم يسمعوا كلامي وكادوا أن يقتلوني.

ومن ذلك الوقت تحمّل موسى الأذى والمشقة في دعوة الناس للإيمان بما جاء في كتاب الله.

وقام موسى ببناء مكتبة للتوراة في بيت المقدس وثبت أركان شريعته،

١- سورة يونس، الآيات: ٩٠- ٩٢.




ولكـــن بنـــي إســـرائيل لم يأتمروا بأمر موسى بشكل مرضي فبعضهم كان يحـــرص على جمع الأموال مثل قارون ابن عم موسى حيث كان لديه أربعين كـــنزاً، ولكـــنه لم يدفع الزكاة وكان يستصْغِرُ موسى إلى أن دعا عليه موسى فابتلعته الأرض.

وبالرغم مما كان يعاني موسى من قومه إلا أنه لم يغضب عليهم سوى مرتيـــن الأولى في حادثة السامري والعجل والثانية غضب على قارون، ولم يدعـــو علـــيهم بـــالعذاب ولكن الأذى الذي نالوه كان بسبب أعمالهم، وعندما اقتربـــت أيـــام وفـــاة موسى نصَّب يوشع بن نون خليفة من بعده وقال لبني إســـرائيل اعلموا أن عمري شارف على الانقضاء ولن تنالوا النجاة إلا بطاعة الله، اعملوا صالحاً وتقيدوا بكتاب الله ولا تخلطوا الحق بالباطل.

بعدهـــا ذهب موسى إلى جبل طور ليختلي ويناجي ربه وهناك قضى نحبه وحيداً عن عمر دام مائة وعشرين عاماً.

وقالوا: إن الملائكة تولَّت دفنه وأن قبره غير معلوم الحال إلى أن شاء الله تعالى.

ما أوتي موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾.

وهـــو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاو بن يعقوب. قال كعـــب الأحـــبار: كـــان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون جعداً طويلاً وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء.

يـــروي أنَّ إبليس سئل هل أحببت أحداً من العالمين قال لا إلا موسى بـــن عمران فقيل لـــه وكيف ذلك فقال: لأن الله تعالى قال وألقيت عليك محبة



مني فلم أتمالك أن أحببته. وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات (العصا، واليد، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس، وفلق البحر).

وجاء في تفسير الإمام القرطبي: أن الآيات التسع هي: (العصا، واليد، واللسان، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات) فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين.

وفي سورة الإسراء (الآية ١٠١): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾.

وقد[1] ذكر في القرآن الكريم أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام:

أحدها: إزالة العقدة من لسانه وصار فصيحاً.

وثانيها: انقلاب العصا حية.

وثالثها: تلقف الحية حبال السحرة وعصيهم مع كثرتها.

ورابعها: اليد البيضاء.

وخمس أخر: وهي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم (والعاشر) شق البحر ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾.

والحادي عشر: الحجر ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

والثاني عشر: إظلال الجبل ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾.

والثالث عشر: أنزل المن والسلوى عليه وعلى قومه.

١- دلائل النبوة: للإمام البيهقي، ج١، ط الريان.


والـــرابع عشر والخامس عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

والسادس عشر: الطمس على أموالهم من النخل والدقيق والأطعمة.

وذكـــر الله[١] جل شأنه في القرآن الكريم هذه المعجزات الست عشرة لموسى عليه السلام.

وتخصـــص التســعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه أما الآيات التســـع فقد اتفقوا على سبع منها وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقيت الاثنتان ولكل[٢] واحد من المفسرين قول آخر فيهما.

وأجودها ما روي صفوان بن عسال أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله فقال: لا تقل نبي فإنه إن سمعك تقول نبي كانت لـــه أربعة أعين فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقـــال رسول الله ﷺ: **" لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الـــزحف شك شعبه وعليكم يا معشر اليهود خاصة لا تقلدوا في السبت فقبلا يديـــه ورجليه وقالا نشهد أنك نبي قال: فما يمنعكما أن تسلما؟ قالا: إن داود دعـــا الله أن لا يـــزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود"**

قال: هذا حديث حسن صحيح[٣].

١- المرجع السابق.

٢- المرجع الساق.

٣- الترمذي: (٣٠٦/٥).





الكلام عن بعض معجزات موسى عليه السلام

(معجزات العصا واليد)

قال تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ صدق الله العظيم.

معنى قولـــه تعالى في الآية الكريمة: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الثعبان ذكر الحيات ووصـــفت هـــنا بأنهـــا بكونها ثعبانا وفي آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصـــغير ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة.

ولمـــا قـــال السحرة لموسى عليه السلام إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون الملقيـــن قال ألقوا أنتم حبالكم فلما ألقوا حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس وصرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿اسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفهم حيث حولوها حيات تسعى فلمـــا ألقـــى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانـــت تبـــتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفـــا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عـــرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولكنها عدمت بقدرة الله تعالى.

فلمـــا ألقى موسى عصاه التي أودعها الله القوة الخارقة فإذا هي ثعبان مبيـــن كمـــا بيـــنا ســـابقا فتحير فرعون وملكه الكبرياء والفزع ثم قال قوله المتغطرس هل لديك من معجزة غيرها؟




ظانـــا بذلـــك نهايـــة الشـــوط وأن موسى لا بد عاجز ولكن الرسول موسى عليه السلام أدخل يدهس في جيبه ثم نزعها فإذا هي شعاع ينبعث منها يكاد هـــذا الـــنور الـــذي انبعث منها يأخذ بالأبصار ويذيع وينتشر حتى ليكاد يسد الأفق[1]. ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول.

من معجزات موسى عليه السلام

[الطوفان – الدم – الجراد – القمل – الضفادع – الطمس – فلق البحر]

قـــال[2] سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة رجع فرعون مغلوبا أي هو وقومـــه أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر فتابع الله عليهم الآيات فـــأخذهم أولا بالســـنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم من قبل ذلك من المعجـــزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فـــرعون عـــلا فـــي الأرض وبغى وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم:

الطوفان

وهـــو المـــاء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بنى إسرائيل وبـــيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شـــيء وركـــب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى فأزال الله

١- قصص القرآن: محمد أحمد جاد المولى، ط دار الفكر بشيء من التصرف.

٢- الفتوحات الإلهية: للجيلي الشهير بالجمل، ط دار الفكر.



عنهم المطر وأرسل الريح فجفت الأرض فلما كشف عنهم ذلك قالوا لــه والله لا نؤمــن لــك ولا نرسل معك بني إسرائيل فنكثوا العهد ولم يؤمنوا فأقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم:

الجراد

فــأكل النــبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الأبواب وابتلى الجــراد بــالجوع فكانت لا تشبع ولم يصب بني إسرائيل شيئاً من ذلك وعظم الأمــر علــيهم حــتى صارت عند طيرانها تغطي الشمس ووقع بعضها على بعــض في الأرض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشــفت عــنا الرجز لنؤمنن لك فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام وفي الخبر: مكتوب علــى صدر كل جرادة جند الله الأعظم فبعد ما كشف الله عنهم رجعوا وقالوا ما نحن بتاركي ديننا ولم يؤمنوا، وأقاموا شهرا في عافية وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم:

القمل

وهــو نوع من القراد وقيل: إنه القمل المعروف فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض كان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمص دمه وكان أحدهم يــأكل الطعــام فيمتلــئ قمــلا، ومنعهم النوم والقرار فصاحوا وصرخوا هم وفــرعون إلى موسى أن يدعو ربه فيكشف الله عنهم ورفع عنهم القمل بعدما أقــام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم ولمن يؤمنوا فأرسل الله عليهم:



الضفادع

فمــلأت بــيوتهم وطعــامهم فكان الواحد منهم يجلس والضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فمه وكان يكلأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكــان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقة الآخر فدعوا موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم فلما كشف الله عنهم ونكثوا أيمانهم ولم يؤمنوا فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهر في عافية فأرسل الله عليهم:

الدم

فصارت مياههم كلها دما وكان أحمر خالص فما يستقون من بئر ولا نهــر إلا وجــدوه دما فأجهدهم العطش حتى أن القبطية تأتي المرأة من بني إسرائيل فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دما حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيَّ فتأخذه في فــيها مــاء وإذا مجــته فــي فــيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى إنــه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا علــى ذلــك ســبعة أيــام لا يشــربون إلا الــدم فأتوا موسى وشكوا إليه ما يلقونــه وقــالوا: ادع لــنا ربك يكشف عنا هذه الذلة فنؤمن بك فدعا موسى فكشف عنهم.

ومــع كــل هــذه الآيات وهذا العقاب الذي سلطه الله عليهم لعنادهم وتكبرهم استكبروا عن الإيمان بها وكانوا قوما خاسرين.





معجزة تكليم الله لموسى

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[١].

قال أهل التفسير[٢]: لما جاء موسى لميقات ربه وطهر ثيابه وصا ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظله غشيت الجبل من كل ناحية وطر عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه المكلفين وكشط لـه السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا. وأدناه ربه حتى سم صريف الأقلام.

وكلمه وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلا ربه فاشتقا إلى رؤيته تعالى فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وكلمه ربه أي أزال عنا الحجاب حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لأن الله أنشأ لـ الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه تعالى السكوت ول يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة.

فلما كلمه ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ هذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لموسى وتسلية لـه على ما فاته من الرؤية وهذ الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير فحجبه عن الرؤية رحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى.

١- من الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف.

٢- الفتوحات الإلهية: للجمل، ج١، ط دار الفكر، بيروت.





وفي رواية[١]: أمر الله ملائكة السماوات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه سبحانه وتعالى انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى.

وقال ابن عباس: لما وقع النوم عليه تدكدك أما الظهور الجسماني فمستحيل عليه تعالى، ويروى عن سهل بن سعد الساعدي: أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا.

معجزة الطمس على أموال بني إسرائيل

لما يئس[٢] موسى عليه السلام من إيمان بني إسرائيل وإيمان فرعون دعا موسى وأمن هارون فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [٣] فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم فأصبحت حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى معجزات موسى عليه السلام.

معجزة فلق البحر بعصاه

لما[٤] طال الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني إسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة فسأل موسى عنه فلم تعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل فاستخرجه

١- الفتوحات الإلهية: للجمل، ط دار الفكر، بيروت.

٢- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ج١، ط دار الكتب العلمية.

٣- سورة يونس، آية: ٨٨.

٤- الكامل في التاريخ: لابن الأثير ج١، ط دار الكتب العلمية.



موسى وهو في صندوق فأخذه معه فسار وأمر بني إسرائيل أن يستعيروا من حلـي القـبط مـا أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرا وخرج موسى ببني إسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون فتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(١) يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد مـا جئتنا أما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٢).

وبلـغ بـنو إسرائيل إلى البحر وبقي بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقـنوا بـالهلاك فـتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنتا عشر طريقا لكل سبط من أسباط بني إسرائيل طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشباك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من الـبحر فـرأى الماء على هيئة والطرق فيه فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فـرق مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لـم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى فشمت الحصن ريحها فاقتحمت فـي أثـرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالـتطم علـيهم فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من طين الأرض فيجعلها في فيه وقال حين أدركه الغرق: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (٣). وغرق وقال جبريل للنبي ﷺ: "لو رأيتني وأنا

١- من الآية رقم (٦١) من سورة الشعراء.

٢- سورة يونس: ٩٠.

٣- أخرجه الترمذي: ٤/ ١٢٥، وقال: حديث حسن صحيح.


أدس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها"[١].

فلما نجا بنو إسرائيل قالوا: إن فرعون لم يغرق فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنو إسرائيل يتمثلون به. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي مصاحبا درعك المعروفة بك: (لتكون) أي أنت آية ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ أي من بني إسرائيل ودليلا على قدرة الله الذي أهلكك ولهذا قرأ بعض السلف: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً﴾ ويحتمل أن يكون المراد: ننجيك ببدنك مصاحبا درعك لتكون علامة لمن ورائك من بني إسرائيل على معرفتك وأنك هلكت والله أعلم.

وقد كان هلاكه وجنوده في يوم عاشوراء.

كما قال الإمام البخاري في صحيحه: عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: "**ما هذا اليوم الذي تصومونه**" فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي ﷺ لأصحابه: "**أنتم أحق بموسى منهم فصوموا**"[٢]. والله أعلم.

وفاة موسى عليه السلام

كان[٣] موسى عليه السلام زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله وقال النبي ﷺ إن الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال: يا رب أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت قال الله: ارجع له وقل له: يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة، وخيره بين ذلك وبين أن يموت

١- أخرجه الترمذي: ٤/ ١٢٥، وقال: حديث حسن صحيح.

٢- قصص الأنبياء: لابن كثير.

٣- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ج١، ط دار الكتب العلمية.




الآن فأتاه ملك الموت وخيره فقال لــه: فما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: فالآن إذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبي ﷺ فكان موته في التيه وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة.





الخضر وإلياس عليهما السلام

أما الخضر فهو مرشد موسى.

وأما إلياس فهو هادي التائهين منقذ الحائرين...

معجزاتهما:

١- إنهما أحياء في الأرض.

٢- خص الله تعالى الخضر بالعلم الرباني الغيب الخفي من فيض علمه عز شأنه فأخبر موسى بما لم يعلم.

٣- خص الله تعالى إلياس بالقوة فمكنه من إنقاذ التائهين وإرشاد الحائرين.





الخضر وإلياس عليهما السلام

كان الخضر من أبناء الملوك وأبوه من ذوي النعم والثراء، وكان يحب الحكمـة وسـلوك الأنبياء. وفي الوقت الذي كانا يعيش في كنف عائلته كان يتبنى البؤساء ويكف عنهم أذى الظالمين.

وعندما بُعث نبياً أمر بأن يدعو قوم ذي القرنين للإيمان.

أمـا ذو القرنيـن فقد كان حاكما مقتدرا ويكن احتراما كبيرا للخضر ويثنـي على عبادته لله ويشاوره في أموره، وقد أوكل إليه إدارة شؤون الناس الدينية، وذو القرنين يعتبر أول ملك يحترم ويؤمن بدعوة نبي يبعث في قومه حيـث كان من الحكماء ومن المعمرين ولكنه كان يرغب بأن يبقى خالدا، وقد قـرأ فـي الكتب بأن هناك وفي هذه الدنيا عين تسمى ماء الحياة ومن يشرب منها يبقى خالدا لا يموت، وسئل سر ذلك من الخضر فأخبره بمكانها وعندما علـم أن عيـن ماء الحياة تقع في منطقة مظلمة عزم على الذهاب إلى هناك بمعـية الخضر وإلياس حيث كان إلياس من المبعوثين في ذلك الزمان أيضا، وبقـوا مـدة طويلـة يجوبون الأراضي الظلماء من العالم واختبروا كل ماء يجدونه.

ولكـن ذا القرنيـن لـم يوفق لأن يشرب من ماء الحياة أما الخضر وإلـياس فإنهمـا توفقا للوصول إلى عين ماء الحياة وشربا منها، ولما وصل الخـبر إلى ذي القرنين اصطحبهم ليدلوه على مكانها ولكنهم لم يعثروا عليها مـرة أخرى، ولأن مدة السفر قد طالت وشارفت أمتعتهم على النهاية لذا فقد قـرروا العودة وذلك ليتجهزوا بالمواد الضرورية، ولكن عمر ذي القرنين لم يطل ليسافر مرة أخرى، وأما الخضر وإلياس فإنهما حصلا على الخلود.





يقـــال إن إلياس كان في شبابه مصارعا ومن محبي السفر في البحار ولهذا فإنه كان يقضي وقته يجوب البحار كدليل للتائهين والمتحيرين.

أما الخضر فكان يعيش على اليابسة وكل شخص يقوم بتقديم الخدمات للناس بصدق وإخلاص ولا يقصر في حقهم يطلب لقاء الخضر ويطلب حاجته منه فإن حاجته ستقضى وأي سؤال يسأله منه فإنه سيعطيه جوابا شافيا.

والمعروف أن الخضر صار مرشدا لموسى في أيام كان يفتخر موسى بعلمـــه الـــذي كان لديه عندما نزلت عليه التوراة وكان فيها سبعون ألف علم وكـــان موسى يعظ العبرانيين حيث كان ملماً بكل ما يحتاجون من سؤال وقد خـــالج فكـــر موسى يوما تفكير بأنه لا يوجد شخص أعلم منه في هذه الدنيا. عـــندها أمـــر الله ســبحانه وتعالى موسى ليذهب إلى قرب البحر حيث هناك ســـيلتقي رجلا أعلم منه ويتعلم منه بعض الأسرار، وذهب موسى للقاء عالم ذلك الزمان فالتقى بالخضر وقال لــــه أريد أن أصحبك؟

فقـــال لـــه الخضر: إن من يريد مصاحبتي يجب عليه أن يصبر على مـــا يرى يجب أن يرى ويسمع ولا يسأل ويعترض على ما أفعل فقبل موسى بذلك وركب الخضر مع موسى في سفينة، وفي وسط البحر قام الخضر بخرق الســـفينة واعترض مع من في السفينة على فعله وكان موسى من المعترضين بأن هذا العمل غير محبب إلى النفوس فذكره الخضر بأنه أعطى عهدا بالصبر على ما يرى ولا يسأل شيئا، وعندما نزلا من السفينة وصلا إلى مدينة وقد ألم بهما الجوع فلما علم أهل المدينة بأنهما غريبان لم يضيفوهما وأخرجوهما من المديـــنة. وهـــناك وجدا غلاما فضربه الخضر وقتله، فاعترض موسى على فعلـــه! فقال لـــه الخضر إذا اعترضت مرة أخرى فسيكون فراق بيني وبينك وعـــندما خـــرجا مـــن المدينة لاحظا في أطرافها جدارا يريد أن يسقط فقال




الخضر يجب أن نقيم هذا الجدار فأخذ موسى يهيئ الطين والخضر يبني، وعندما تعب موسى أخذ يعترض قائلا: إن أهل هذه المدينة أخرجونا من المدينة ولم يطعمونا ولم يكرموننا وأنت الآن تقوم بإصلاح جدارهم هذا؟

فقال له الخضر: لقد اعترضت ثلاث مرات والآن فأنت لا تستطيع أن تبقى رفيقا لي ويجب أن نفترق.

فقال له موسى: إذن اكشف لي أسرار ما فعلت؟

فقال له الخضر: أما السفينة فكانت لمساكين صغار لا يملكون غيرها، وفي ذلك البحر كان هناك سلطان جبار يأخذ كل سفينة بالقوة وإذا ما استولى على تلك السفينة فلم يبق لأصحابها مورد يرتزقون منه وقد رأيت من الأفضل أن أخرق السفينة لكي لا يطمع بها هذا الظالم وتبقى لأصحابها. وأما الشخص الذي عوقب فكان قد ارتكب جرما كبيرا وهو لا يؤمن بيوم المعاد وكان يريد أن يؤذي أحدا فكانت العقوبة عبرة له.

أما الجدار فكان تحته كنز لأيتام لم يصلوا سن الرشد وإذا ما سقط الجدار فإن الكنز سيبدو للعيان فيؤخذ فقومت الجدار لكي أحفظ الكنز إلى وقت مناسب يستخرج منه.

أما أهل المدينة الذين لم يضيفوننا فإنهم سوف لن ينالوا البر وهذا الأمر لا يدعو إلى الحزن فإننا سوف لا نموت من الجوع وهنا علم موسى بأن هناك أعلم منه في هذه الدنيا يستطيع إدارة أمور الناس وحل مشاكلهم ورسم المستقبل لهم فحمد الله على علمه بذلك ورجع إلى مقره.

قال تعالى في كتابه الكريم يصور ما جرى لموسى عليه السلام مع الخضر بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ



بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۞ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۞ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۞ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۞ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ


﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾(١).

والمروي عن الباقر عليه السلام: إن الفتى هو يوشع بن نون وكان ملازما لموسى عليه السلام لا يفارقه وكان تابعا له ويخدمه ولذلك سماه القرآن فتاه، ومجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم على الأظهر وهو المكان الذي وعد موسى بلقاء الخضر فيه.

١- سورة الكهف، الآيات: ٦٠-٨٢.





يوشع بن نون عليه السلام

أي "اليسع"

اشـــتغل بهدايـــة العبرانيين وتعليمهم التوراة وكـــان دلـــيلا لبني إسرائيل للوصول إلى الأرض الموعودة.





يوشع بن نون عليه السلام

يعرف يوشع بالعربية أي (اليسع) وهو من أحفاد شمعون بن يعقوب وابن عم موسى وصديقه وخادمه والقائم بأعماله في هداية العبرانيين، وتربى على يد موسى سنيناً طويلة وقرأ كل التوراة وكان أعلم بني إسرائيل وأقدرهم في الجهاد وأسبقهم في عمل الإحسان والعبادة حيث كان مشهورا ومعروفا.

ويوشع كان يعلم العبرانيين التوراة وينشر شريعة موسى عليه السلام وهو الذي كان دليلا لبني إسرائيل للوصول إلى الأرض الموعودة وكان جادا في تنفيذ أحكام الشريعة ونصيحة قومه فكان يقول: إن عدم تحقق الآمال والخسران والعناء كلها ناتجة من عدم الطاعة للأحكام الإلهية.

ويقال: إنه في يوم من الأيام عندما انهزم أعوانه في حرب لهم مع الكفار سألهم يوشع أن ابحثوا عن شخص مذنب بيننا فإن الهزيمة لحقت بنا جراء وجوده بيننا، فوجدوا رجلا من بينهم قد سرق مائة درهم فعاقبوه وطردوه من بينهم وأعادوا الكرة فانتصروا.

ومرت على بني إسرائيل فترة القحط وشحة في الأرزاق والإعسار فصعد يوشع المنبر وقال: أنا أعلم أن القحط سببه ارتكاب الذنوب في صفوفكم فاعترفوا بذلك وتوبوا، فاعترف أحدهم بذنوبه فنال جزاءه فارتفع القحط عنهم.

وقد بقي يوشع بعد موسى مدة تسع سنين وثمان أشهر وقام بإصلاح الأمور على أحسن وجه وبعد رحيله من الدنيا انقسم بنو إسرائيل إلى اثنتي عشرة مجموعة وبعدها انقسمت إلى أربع وسبعين فرقة كل يختلف عن الآخر




فـــي مذهبه فحرقوا التوراة وظهرت بينهم الضلالة، وبعده جاء مائة وأربعين نبـــياً دعوا بني إسرائيل للتوحيد ولم تعرف أسماؤهم في التاريخ ولم يبق لبني إسرائيل استقرار وعزة حيث اختلفوا في شريعة موسى وطال الأمر إلى عهد طالوت وداود.





داود عليه السلام

فارس الحروب وصانع الدروع

معجزاته:

١- الجـبال والطير تردد معه تسبيحه واستغفاره ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سـبأ: من الآية١٠)

٢- ألان الله تعـالى لـه الحديد ينصهر بين يديه فيشكله كيف يشاء في صناعاته.





داود عليه السلام

بعث النبي داود في عصر طالوت، وكان طالوت من ملوك بني إسرائيل، وكان يدين بدين موسى ويحكم اليمن وأطرافها وهو خليفة لأشموئيل.

المنقول عن حياة طالوت إنه كان راعيا لقطيع من البقر، ويوماً افتقد إحدى بقراته فأراد صاحب القطيع منه أن يعوضه البقرة المفقودة فتحير طالوت وذهب إلى أشموئيل وشرح له الحادث، فعندما عرفه صادقا فيما يقول قدم له قيمة البقرة، وبما أن أشموئيل كان يبحث عن رجل صادق ومؤمن لينصبه حاكما فاختار طالوت وقال لقومه هذا طالوت جعلته عليكم ملكا، واعترض بعضهم على هذا الاختيار بقولهم: إن طالوت من بؤساء القوم وفينا من هو أليق منه!

فأجابهم أشموئيل: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختاره وأنا أنفذ أوامر الله وعلامته أنه سيعود لكم بالتابوت الذي فيه السكينة لكم، وعندما تحققت هذه العلامة آمن به الناس، أما تابوت السكينة فقد كان صندوقا قد وضع فيه موسى في نهاية عهده أمانة بني إسرائيل وعدد الألواح ليرجع إليها بنو إسرائيل عندما تواجههم مشاكل كبيرة، وعندما توفي موسى سرق هذا الصندوق ولا يعلم أحد أين مكانه إلى أن وجده طالوت وأعاده إليهم فتوثقت الروابط بين بني إسرائيل وطالوت، وعندها انقادوا إلى أوامر طالوت فكانوا يخوضون الجهاد معه المخالفين ولكنهم وبسبب عدم طاعتهم لأوامر طالوت أحسوا بالوهن في مواجهة جيش جالوت، حيث كان جالوت ملك مقتدر ومعجب بنفسه وكان يحارب بني إسرائيل باستمرار.





وفـــي إحـــدى المعـــارك قال لو أن رجلا من بني إسرائيل يبرز إلي ويهزمني فإنني سوف أكون مطيعا لهم، ولم تكن لأحد الجرأة على منازلته.

وكان طالوت قد أصبح هرما وضعيفا، ومع أنه قد رأى في المنام بأنه سينتصـــر علـــى جالوت، ولكنه لا يتصور كيف سيكون ذلك وفي هذه الأثناء كـــان داود الراعـــي الغريب قد جاء إلى طالوت وقال لـــه إنني قادر على أن أتغلب على جالوت.

أمـــا داود فقد كان راعيا رباه أبوه تربية حسنة وأوصاه بنصرة الدين، وعمـــلا بوصـــية أبيه فقد أبدى استعداده لنزال جالوت، حيث كان يقول؛ إذا ســـمحت لي بالذهاب إلى حرب جالوت فإنني سأنتصر عليه بإذن الله تعالى، فتعجـــب طـــالوت من قول هذا الشاب وسأله من أي قوم أنت؟ فقال: من بني إسرائيل، ولدي إخوان في الجيش ولكنني سوف أقوم أنا شخصيا بهذه المهمة.

فسأله طالوت: يا داود إلى الآن هل اشتركت في حرب؟

فأجابـــه: نعم مع الأسود والذئاب والنمور عندما كانت تهاجم أغنامي فكنت أتصدى لها وأهزمها.

فقال أخواه لطالوت: أيها الملك إن داود لا خبرة لـــه في فنون الحرب والـــذي كـــان يفعله مع الوحوش لا يمت لقواعد الحروب بصلة إنما هو شاب مغمور وهو راع فكيف يمكنه أن ينازل بطلا متمرسا مثل جالوت، إنا نخاف أن يقـــتله ويـــنكس رؤوسنا. أما داود فقد كان مصرا على أنه سيقتل جالوت بضربة واحدة ولم يتطوع أحد غير داود لمنازلة جالوت.

ودعـــا طـــالوت لـــداود بالنصرة والغلبة وقال لـــه: إنني معجب بقوة إيمـــانك وشجاعتك. وعندها قال لـــه: خذ ما شئت من الأسلحة نظير السيف والدرع والرمح والترس.




فقـال لـه داود: لا أحتاج إلى السيف والدرع والرمح إنما أنا أحارب بالمقلاع والحجارة حيث إنني احترفت ذلك ولا تخطئ إصابتي أبدا.

وفـي حالـة مـن التعجب والدهشة لدى الجيشين حمل داود مقلاعه والحجـر ودخل ميدان المعركة، وكان جالوت مغرورا بقوته وسيطرته فسأل داود قائلا: يا بن إسرائيل أأنت الذي ستنازلني؟

فأجابه داود: نعم.

فسأله: وبأي سلاح؟ فأجابه: بهذه الحجارة التي في يدي.

فقال جالوت مستنكفا؛ إن الملوك لا يقاتلون بالحجارة.

فقال داود: أظن أنني لا أحتاج إلى أكثر منها في نزالك.

فقال جالوت: أنا آسف على أن أقتلك فإنك شاب مغرور.

فقال داود: أما أنا فلا آسف على قتلك إذا لم تؤمن بالله.

فغضـب جالوت وقام بحركة أجابها داود بضربة في صدره بالحجارة فهشـمت صـدره وسـقط صريعا فسلم جيشه لطالوت، وتعجب طالوت من الحجارة ومن فعلها.

فقـال داود: إننـي لم أقتل جالوت ولكن الله قتله؛ ولأن جيش طالوت شاهد هذه الرجولة من داود فإنهم أحبوه وكرموه وأخذوا يأتمرون بأمره.

وكـان داود ذا صوت جميل إذ يتلو التوراة، وهو أول من علم الناس صناعة الدروع والحديد، ولأن المحاربين كانوا يلبسون الدروع التي يصنعها داود فـإنهم يصبحون أشد عزيمة في الحرب، وأصبح بنو إسرائيل أعزة في أيـام داود، وبعد فترة دب الحسد إلى قلب طالوت فانقلب على داود ولكنه قتل على أثر ذلك واستتب الوضع والسلطة لداود.

قـال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ



مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

وعندما بعث داود نبيا وجاء بالزبور كتابا تولى قيادة قومه على أحسن ما يرام، وكانت لداود ثلاث كرامات:

أولها: الصوت الجميل حيث كانت تقف الطيور عن الحركة عند سماع صوته.

والثانية: أن كتاب الزبور قد نزل عليه.

والثالثة: أن الله ألان له الحديد كما يلين الشمع. وكان كل ما يصنعه من الحديد أقوى من صنع الآخرين.

وصار لداود أولاد كثيرون أصغرهم وأحبهم إلى قلبه سليمان فقد كان ذكيا ذكاء خارقا وحكيما وعابدا، وإذا ما حكم على شيء فإن حكمه

١- سورة البقرة الآيات: ٢٤٧- ٢٥١.


أعدل من الجميع.

وفـــي حـــياة داود نصب سليمان على كرسي القضاء فأخذ يقضي بين الـناس فـيما يخـتلفون فيه وكان قضاؤه مقرونا بالحكمة، وقد حكم يوما بين امرأتيـن فـي قضية مولود ادعت كل منهما بأنه ولدها ولم يقدر أي شخص بالقضاء بينهما وعندما رأى سليمان بأن الاثنتين ليستا على استعداد لأن تتنازل عن ادعائهما بأمومة الطفل، دعا الجلاد وأمر بأن يقسم الطفل إلى نصفين لكي يعطي كل منهما نصفا، ولكن الأم الحقيقية صرخت عندما سمعت بقرار الحكم بأن ابقوا على الطفل سالما وأعطوه للأخرى.

فقال سليمان: الآن صار معلوما من هي الأم الحقيقية فالأم هي التي لا ترضى بأذية ولدها، ومن ذلك اليوم عرف سليمان بالحكيم.

وعـندما بلغ عمر داود مائة سنة جاءه جبرائيل وأعطاه صندوقا وقال لــه: يا داود في هذا الصندوق شيئا اسأل أولادك عنه وكل من يعلم بما في الصـندوق فسـيكون خليفتك. فجمع داود بني إسرائيل جميعا وأحضر أولاده وكـانوا خمسة عشر ولدا أصغرهم سليمان فسأل داود من أولاده أن ماذا في الصندوق؟

ولـم يجـب أي منهم إلا سليمان فإنه نهض وقال: أتمنى أن تكون في الصندوق ثلاثة أشياء:

الأولى: الخاتم

الثانية: سوط

الثالثة: كتاب حكمة

وعـندما فتحوا الصندوق وجدوا فيه مثلما قال فقال جبرائيل: إن هذا الخاتم من الجنة وصاحبه تقضي لــه كل حاجة يطلبها.




أما السوط فإنه من نار جهنم وكل شخص يمسكه فسوف يطيعه الجن والإنس وكافة الخلق وهذا المكتوب فإنه حكمة وكل شخص يتعلمها سيكون مطلعا على كل شيء وكلها ستكون ملكا لسليمان فإنه كان يتمناها من الله سبحانه وتعالى.

وانتخب سليمان ملكا، وأما داود فإنه سلم وصيته لسليمان وعندما توفي دفن في بيت المقدس.

داود عليه السلام وما أوتي من المعجزات

هو[١]: داود بن إيشا بن عويد من نسل يهوذا بن يعقوب كان مبدأ أمره أن الله تعالى لما بعث طالوت ملكا خرج من بني إسرائيل معه ثمانون ألفا لقتال جالوت فقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فلم يثبت معه غير ثلاثمائة عشر وكان فيهم داود وثلاثة عشر ابنا له وداود أصغرهم والتقى الجيشان وبرز جالوت مناديا للقتال فخرج إليه داود عليه السلام وكان جنديا في الجيش الذي خرج مع طالوت: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾[٢] وحينما جاء وقت النبوة: ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾[٣].

كان[٤] داود عليه السلام نبيا ملكا ولقد آتاه الله عز وجل من هباته ونعمه الكثير من ذلك: أنه كان رسولا صاحب كتاب إنه الزبور وهو كتاب من كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه وإذا كان نبيا إبراهيم عليه السلام قد

١- التبصرة للإمام ابن الجوزي، ط الحلبي، تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد.

٢- من الآية رقم (٢٥١) من سورة البقرة.

٣- من الآية رقم (٢٥١) من سورة البقرة.

٤- رواه الشيخان والإمام أحمد.





أوتـــي صـــحفا وأوتـــي موســـى عليه السلام الألواح فيها التوراة فإن داود عليه السلام أوتـــي الـــزبور وآتـــاه الله ســـبحانه وتعـــالى صـــوتا جميلا، وهو منحةفي غايـــة النفاســـة وجمـــال الصـــوت عند داود ليس على المعنى العادي الآلي فـــي الأنغـــام والألحـــان ونسبها المحددة ليخرج الصوت جميلا. لقد كان عند داود ولكـــن كـــان بقدرة الله عز وجل ومن فضله على نبيه داود عليه السلام الذي آتاه لـــه.

نحـــن إذن[1] أمـــام معدن بشري من لون خاص إنسان بلغ من شفافية الـــنفس والـــتجرد أن انزاحـــت الحجـــب بينه وبين الكائنات، وهذه من منح الله الجلـــيلة وهباته على عبده ونبيه داود عليه السلام ومن الهبات التي منحها الله لـــداود عليه السلام أيضا هبة القوة يقول سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[2]، والأيـــد: القـــوة. لقد كان داود عليه السلام قويا في كل ما يأتي من الأمور لقد كان قويا في أمور العبادة وهذا هو المراد هنا على ما ذكره أكثر المفسرين.

فـــي الصـــلاة والصـــيام وغيرهما، وقد ورد في الحديث الصحيح أن رســـول الله ﷺ قال: "**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صـــيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى**"[3].

ولذلـــك اصـــطفاه الله عليه السلام وجعلـــه نبـــيا ووهـــبه كثيرا من الآيات والمعجزات...

١- أنبياء الله: لأحمد بهجت، ط دار الريان للتراث.

٢- من الآية رقم (١٧) من سورة ص.

٣- رواه الشيخان والإمام أحمد.





معجزة تسخير الجبال والطير لداود للتسبيح معه

قال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[1].

يخـــبر[2] الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه من الفضل المبين وجمع لـــه بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العدد والعدة وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات وتقف لـــه الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات.

وفـــي الصـــحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال: **"أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود"**.

إن الأصوات الجميلة تمتزج بأرواح قائليها وكلما صفت الروح وكلما تزكـــت النفس وامتزجت بالغناء والترتيل كان الصوت أجمل وكانت جاذبيته أقـــوى. وكلما كان الشعور مرهفا، وكان الحس متأثرا بما يقال كان الصوت أكثر تأثيرا.

ومـــا كان داود عليه السلام يشعر بنفسه وهو يرتل الزبور ويتغنى به وإنما كان فانيا فيما يعبر عنه من كلمات الزبور إنه كان مستغرقا في الزبور – أي أنـــه كان مع الله وهو يتغنى بكلمات الكتاب المقدس بل كان فانيا في الله جل

١- الآيات رقم (١٧-٢٠) من سورة ص.

٢- تفسير ابن كثير: ط دار المعرفة، بيروت.




جلالـــه لقــد كــان يتغــنى ويبكـــي لقد كان زبورا مترنما فكان لحنا ربانيا. ويعــبر القــرآن الكريم في - صورة جميلة- عن تأثير داود البالغ أثناء تغنيه وهو سبحانه وتعالى يسمى ذلك تسبيحا فيقول: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[١] ويقــول سبحانه أيضا: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[٢] ويقول سبحانه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٣].

ولقد تابع المفسرون القرآن الكريم في الحديث عن صوت داود عليه السلام فيقول الإمام الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: (أعطى داود من حسن الصــوت مـــا لم يعط أحد قط حتى إن كان الطير والوحش يعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا وحتى أن الأنهار لتقف). ويقول الإمام ابن كثير: (وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحد بحيث أنه كان إذا تــرنم بقــراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا)[٤].

فلم تكن الجبال وحدها هي التي تسبح معه بل كانت الطيور والوحوش والأشــجار تشــترك في التسبيح. ولم يكن صدق داود هو وحده المسئول عن تســبيح الجبال معه أو الطير، لم تكن عذوبة صوته هي المسئولة عن تسبيح بقية الكائنات معه إنما كان هذا معجزة من الله لــه كنبي عظيم الإيمان صادق الحــب لله ولم تكن هذه وحدها كل معجزاته إنما أعطاه الله شيئا وعلمه إياه أو

١- من الآية رقم (١٨، ١٩) من سورة ص.

٢- من الآية رقم (١٠) من سورة سبأ.

٣- من الآية رقم (٧٩) من سورة الأنبياء.

٤- تفسير ابن كثير.





أعطـــاه معجزة زاد في حبه لله تعالى وزاد من شكره لله وزاد من إيمانه بالله وزادت عبادته لله حتى أصبح يصوم يوما ويفطر يوما.

عـــن يحيى بن كثير قال: كان داود عليه السلام يأمر أن يخرج لـــه منبرا إلـــى الـــبرية ويأمر سليمان أن ينادى يتسقرئ البلاد وما حولها من الغياض والآكـــام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكـــار وتأتـــي الرهبان من الصوامع والأديرة وتأتي العذارى من خدورها ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل كل صف على حده قال: وسليمان قائم على رأسه قال: فيأخذ في الثـــناء علـــى ربـــه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فـــيموت طائفـــة من الناس وطائفة من السباع والهوام والوحوش وطائفة من الرهـــبان والعذارى المتعبدات ثم يأخذ في ذكر الموت وأهوال القيامة ثم يأخذ النـــياحة فيموت من كل صنف طائفة، فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموت ناداه: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومـــن الرهـــبان ومن الوحوش فيقطع النياحة ويأخذ في الدعاء ويغشى عليه فـــيحمل علـــى سرير فإذا أفاق قال لسليمان: ما فعل فلان وفلان فيقول ماتوا فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه وينادي: أغضبان أنت على داود يا إله داود أم كيف قصرت به أن يموت خوفا منك.

قـــال علمـــاء الســـير: كان داود عليه السلام قد اتخذ سبع حشايا من شعر وحشـــاهن بالـــرماد ثم بكى حتى أنفذها دموعا ولم يشرب إلا ممزوجا بدموع عينيه.





معجزة إلانة الحديد لداود عليه السلام وصنع الدروع

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١].

وقد ذكر[٢] الحافظ ابن عساكر في ترجمته لداود عليه السلام من طريق إسحاق ابن بشر وفيه كلام عن أبي إلياس عن وهب بن منبه ما مضمونه: أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه خيرا في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام. قال وهب: حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقيه داود عليه السلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال: ما هي؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال. فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغني به ويغني به عياله فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع وهو أول من علمها.

قال الحسن البصري رضي الله عنه وقتادة والأعمش: كان لا يحتاج أن يدخل الحديد النار ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط.

وقال ابن عباس: صار عنده كالشمع والرأي الراجح أنه عليه السلام أعطي قوة يثني بها الحديد[٣].

ومن الثابت أن الله عز وجل ألان الحديد لداود بمعنى أنه كان أول من اكتشف أن الحديد ينصهر بالنار ويمكن تشكيله آلاف الأشكال.

١- من الآيتان (١٠، ١١) من سورة سبأ.

٢- تفسير ابن كثير: ج٣، ط دار المعرفة، بيروت.

٣- تفسير القرطبي: ط دار الكتب العلمية، بيروت.





ولـم يـستحقق ذلك لداود إلا لحب الله سبحانه وتعالى لـه وليظهر في قومـه وكانـت مشـكلة قومه هي كثرة الحروب في زمانهم وكانت الدروع الحديدية التي يصنعها صناع الدروع ثقيلة فتمنع المحارب أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد.

وقد ورد أن داود عليه السلام جلس يوما يفكر في هذه المشكلة وأمامه قطعة مـن الحديد يعبث بها بيديه ثم اكتشف فجأة أن يده تغوص في الحديد – ألانه الله تعـالى لـــه – فراح يقطعه ويشكله قطعا صغيرة يصلها بعضها ببعض حتى إذا انتهى كان أمامه درع من الحديد.

فهـذه هـبة من هبات الله تعالى لعبده داود ويعبر عنها القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[1].

ولقـد علمـه الله سبحانه وتعالى صناعة الدروع لتقي المحاربين من سـهام الأعداء ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

ويقـول[3] عكـرمة ومجـاهد وغـيرهما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي لا تـدق المسـمار فـيغلق ولا تغلظه فينفصم، ومعنى ذلك أن الله سـبحانه وتعالى علمه صناعة الدروع في إجمالها وتفاصيلها وكانت صناعة الدروع مهنته التي كان يتكسب منها لعيشه.

وبـدأت المصانع تعمل في صناعة الدروع الجديدة وتسليح جيشه بهذه

١- الآية رقم (٨٠) من سورة الأنبياء.

٢- الآيتان رقم (١٠، ١١) من سورة سبأ.

٣- في رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود.




الدروع السابغة التي بهرت جيش الأعداء بإتقانها. وهو رغم ما كان فيه من ملك وأبهة ورغم ما كان تحت يده من مال كثير كان يعيش من عمل يده.

ولقد ذكره رسول الله ﷺ كمثل للكسب الحلال. فقال: "إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من كسبه"[١].

ولقد أوجب الإسلام في الكسب أن يكون من حلال وحث على ذلك بشتى الطرق ومن ذلك ما رواه ابن مردويه بسنده -عن ابن عباس- قال: (تليت هذه الآية عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفسي محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى به).

وفاة داود عليه السلام

يقولون إن داود عليه السلام مات فجأة وشيع جنازته يومئذ ألف راهب في أرديتهم التقليدية مع آلاف غيرهم من الناس ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه من داود.

وآذت الشمس الناس فدعا سليمان الطير قال: أظلي على داود فأظلته حتى أظلت عليه الأرض وسكنت الريح وقال سليمان للطير: أظلي الناس من ناحية الشمس وتنجي من ناحية الريح وأطاعت الطير فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان.

١- رواه الإمام البخاري.





من حكم داود عليه السلام

لقد روت كتب التفسير وكتب التاريخ شيئا من حكمه من ذلك ما رواه عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد: أنبأنا سفيان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال: (إن في حكمة داود: حق على العاقل أن لا يغفل فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه لعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات. وحق على العاقل أن يعـرف زمانـه، ويحفظ لسانه، ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده ومرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم.

ومن حكمه أيضا: يا زارع السيئات تحصد شوكها وحسكها.

ومـن أجمـل ما روى عن داود أنه قال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أصـل إلى شكرك إلا بنعمتك. فأتاه الوحي أن يا داود ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال نعم يا رب قال: فإني أرضى بذلك منك.





سليمان الحكيم عليه السلام

ورث النبوة والملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة

أعظم معجزاته:

١- علمه منطق الطير.





سليمان الحكيم عليه السلام

كان سليمان بن داود يحب أن يجمع بين الحكمة والحكم معا وقد طلب مـن الله أن يرزقه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وفي ذلك العصر كان هناك ملوك أقوياء يحكمون الأرض.

واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء سليمان فآتاه الحكمة وأعطاه خاتم القـدرة ومنحه سوط القوة، فأصبح أعظم سلاطين عصره وكان يهتم بعمران البلاد ويدعـو الـناس إلـى العدل والصواب وكان عندما يضع خاتمه في يـده يأتمر بأمره الجن والإنس، وكان يعرف لسان الحيوانات والطيور وينال كـل شـيء يـريده بإذن الله سبحانه وتعالى. وكان لـه وزير يدعى آصف بن برخيا.

بـنى سليمان قصرا عظيما تبلغ مساحته أربعة فراسخ مربعة (الفرسخ يساوي أقل من ستة كيلو مترات).

وصـنعت لـه الملائكة عرشا من القضبان الحديدية مساحته فرسخ مـربع مزيـن بالجواهـر وأنواع الحلي، وقد وضع على يمين مجلسه اثني عشـر ألـف كرسي من ذهب وعلى يساره اثني عشر ألف كرسي من الفضة وأمامـه اثنـي عشـر ألـف كرسي من البلور وإلى خلفه اثني عشر كرسي من الحرير.

وكـان لـه وزير يدعى آصف بن برخيا حيث خصص هذه الأماكن لأفـراد حاشـيته مـن كـل صنف. وكانت الطير تظلل فوق عرش سليمان بأجنحـتها حـتى تمنع عنه الشمس والمطر. أما الريح فقد كانت تنقل عرشه بأمـره إلـى أي نقطـة يشـاء، حيـث كان يتحرك العرش بهدوء فلا يشعر




أحد بحركته.

وأما الخلائق فكانت كلها تأتمر بأمر سليمان من جن وإنس وملائكة وحيوانات وكل الأحياء كانت تأتمر بأمره إلا الأبالسة ولم يعهد عصر كعصره ازدهارا بالعمران والنعمة والقوة، وقد قام بأعمال وصناعات أدهش بها العالم وعلى الرغم من ذلك فقد كان سليمان متواضعا وزاهدا إلى أبعد الحدود حيث كان يتعامل مع الناس بالمداراة والمحبة، فكان يكلم الحاضرين في مجلسه حتى النملة والعصفور ويهتم بكلامهم؛ وهذا الأمر من مقتضى الحكمة، فالحكمة لا تنسجم مع التكبر.

ومن القصص المعروفة لسليمان حديثه مع النملة، فيوما كان سليمان وجيشه يمر من وادي النمل فنادت رئيسة النمل يا أيها النمل أسرعوا إلى مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده، فحمل الهواء كلام النملة إلى أذن سليمان فاستدعاها وقال لها: ألم تعلمي بأني لا أظلم أحدا؟ فقالت له النملة: نعم أعلم ذلك.

فقال لها: إذن لماذا حذرتي النمل بحيث هرب من أمامنا؟

فقالت النملة: أنا رئيسة النمل والتفكير بمصير قومي والاحتياط من واجباتي فأردت أن أعود النمل إذا ما رأوا الصحراء مكتظة فيجب عليهم أن يدخلوا في مساكنهم.

فقال لها سليمان: الحق معك يجب على النمل أن يدخلوا إلى مساكنهم أثناء الخطر ولكن كان الأفضل أن لا تذكري اسم سليمان فأجابته النملة: في هذه النقطة لك الحق. فأحسن لها سليمان وعفا عنها.

قال تعالى يصور هذه الحوادث في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ


عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۞ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[١].

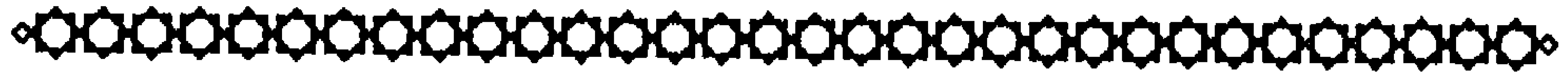
كان وزير سليمان آصف بن برخيا رجلا عابدا عادلا وكان من الذين يخافون الله وكان قرئا للتوراة فلا يوجد شخص يقرأ التوراة أحسن منه وقد استفاد من الحكمة فلا يوجد شخص بين بني آدم غير سليمان أفضل منه.

وفي يوم من الأيام وبينما كان سليمان جالسا أرسلت الشمس أحد أشعتها على عرشه فشعر سليمان بأن أحد الطيور قد ترك مكانه وعندما تفقد الطيور وجد الهدهد قد ترك مكانه وذهب بدون اطلاع سليمان.

فقال سليمان: إن الهدهد قصر في عمله فإذا حضر ولم يكن لديه عذر في غيابه فسأعذبه عذابا شديدا.

وعندما جاء الهدهد آخذه سليمان فأخذ يعتذر بأنه كان في مهمة، وقال: لقد سافرت إلى مدينة سبأ وجئت بخبر فيه فائدة تناسب شأنك، لقد وجدت في مدينة سبأ امرأة تحكمهم وهذا اسمها وعنوانها، فعفا عنه سليمان وأمر بأن يكتب كتابا إلى ملكة سبأ وافتتحه باسم الله وقال: إنه كتاب من سليمان إما أن تؤمنوا بالله أو تستعدوا للعقاب.

١- سورة النمل الآيات: ١٥- ١٩.



وعــندما اطلعت بلقيس على الكتاب تشاورت مع قومها فأشاروا عليها بأن ترسل إلى سليمان هدايا وتطلب منه أن يغض النظر عنهم.

فهيأت بلقيس هدايا ثمينة من بينها سبعة سبائك من الذهب وسبعة من الفضة وسبعة من الستائر المزركشة بالذهب أرسلتها مع رسالة قالت فيها؛ إننا لسنا بعاصين ولكن نريد أن نعيش مستقلين فأخبرت الملائكة سليمان بأن رسل بلقيس في طريقهم إليه.

فأمــر ســليمان أن تفــرش قاعــة المجلس بالسبائك الذهبية والفضية وأقيمــت أعمدة من الجواهر، وعلقوا حول المجلس سبعة آلاف بردة مزركشة بالذهــب، وعــندما وصــل رســل بلقــيس ورأو هذه العظمة والقوة خجلوا مــن هديــتهم التــي جــاؤوا بهــا، فقال سليمان: إن ما لدينا من مال الدنيا لــيس بالقلــيل وكل ما ترسلونه إلينا فعندنا منه آلاف الأضعاف، وإنما نريد مــنكم أن تؤمــنوا حــتى لا يــبقى في العالم كافر وبعكسه فإن لدينا جيوشا مســتعدة لكــي تقلب الأوضاع في سبأ وتذل الكافرين، وأنا لا أطلب الرئاسة عليكم إنما أريد هدايتكم، وعندما وصل الخبر إلى بلقيس قالت؛ إن الأمر أعظم ممــا تصــورنا والأحسن أن أذهب بنفسي إلى سليمان حتى أرى ماذا أفعل. فتوجهت إلى سليمان وعرف سليمان خبر مجيء بلقيس إليه من العفاريت قبل وصولها.

وبلقيس امرأة غير واعية بالرغم من كونها ملكة.

ســليمان بدوره سأل جلسائه أيكم يستطيع أن يأتيني بعرش بلقيس قبل أن تصــل إليــنا؟ فقال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مكانك فقــال وزيــره آصــف بن برخيا: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وإذا بالعرش بينهم.



فأمـــر سليمان أن يغيروا معالم عرشها تغييرا يسيرا، وعندما وصلت بلقـيس وترجلـت من راحلتها أدخلوها إلى القصر، وعندما رأت البلور الذي صـــنعوه كقنطرة على مجرى نهر فحسبت أنه لا فاصل بينها وبين مياه النهر فكشـــفت عن ساقيها لكي تعبر، وخجلت عندما بدا لها أن ما رأته ليس بماء، وعــندما دخلــت المجلــس ورأت عرشها قالت: أظن أن هذا العرش عرشي بالرغم من أن نقله إلى هنا أمر يدعو إلى العجب.

وعــندما تجلــت عظمة سليمان لبلقيس قالت: لقد ظلمت نفسي والآن آمنـــت برب بسليمان وعندها أثنى سليمان عليها واتخذها زوجة لـــه، وكتب إلـــى قومها بأن يدينوا بدينه فبعضهم آمن ونجى وبعضهم عصى فأخرج من البلاد وهلك.

قـــال تعـــالى في كتابه المجيد: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ

يَفْعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١).

وكان عصر سليمان مزدهرا بالعمران والنعمة والهيبة فكانت القصور والبساتين والمساجد ومحطات استراحة المسافرين والطرق والجسور لكي ينعم الخلق بالطمأنينة والاستقرار.

وبنى سليمان بيت المقدس بأحسن صورة ووسع المسجد الأقصى الذي بناه داود أبوه، وقد أكثر من أعمال الخير وذلك لإسعاد الناس.

وبالرغم من أنه كان يملك كل شيء من مظاهر العظمة والقدرة والجلال والحكمة إلا أنه ترك هذا عندما شارف عمره على الانتهاء.

قيل: في أواخر أيامه كان ينظر إلى عمارة عالية وعندما أشرف من

١- سورة النمل، الآيات: ٢٠- ٤٤.

سطح القصر قال اتركوني لوحدي ولا يقترب مني أحد قبل أن أسمح له فإني أريد أن أختلي بنفسي للتفكير في شؤوني.

أما العمال والفلاحين وبنائي وعمال الطرق فإنهم كانوا مشغولين بأعمالهم، وعندما وقف سليمان لحظة على شرفة القصر تجلى له عزرائيل بصورة رجل فتعجب عندما رأى شخصا يخالف أوامره يقترب منه فقال له: ألم أقل ليس من حق أي شخص أن يأتي إلى هنا؟ من الذي أجاز لك أن تأتي؟

فقال له عزرائيل: أنا مخلوق لا أحتاج إلى إجازة أحد وبأمر الله أذهب إلى أي مكان تكون لي فيه حاجة.

فقال له سليمان: من أنت وماذا تريد.

فقال له: أنا عزرائيل ومهمتي قبض روحك وإنني مأمور ومعذور.

فقال سليمان: أيها الصديق العزيز لا عجب في الأمر وهذه لحظة لا بد أن تمر على أي أحد ولكن ألا من مهلة كي أوصي بها وأقوم بترتيب أموري؟

فقال له عزرائيل: إن هذه الأعمال يجب أن تقضى قبل مجيئي وأنا الآن وقد جئت فلا مهلة بعدها.

فقال له سليمان: أنجز مهمتك فإنني راض بقضاء الله فقبض روحه في ذلك المكان الذي كان يقف فيه سليمان وهو على شرفة القصر حيث بقي سليمان مدة جسدا متكئا على عصاه وكان يظن الذين حوله بأنها من معاجز سليمان أن يبقى هذه المدة من غير طعام ولا استراحة ولا نوم فكان لا يجرؤ أحد أن يقترب منه ويستفسر منه، واستمرت الأعمال تسير على أفضل ما يرام لمدة طويلة، وبعد مدة نخرت الأرضة عصا سليمان فانكسرت وسقط سليمان



أرضـــا فـــي موضع وقوفه وعلم الناس أن أيام سليمان وملكه قد انتهت وبعده تولـــى الحكم تسعة عشر من أبنائه ولكن لم يبلغ أحد منهم ما بلغه سليمان من الهيبة والجلال والعظمة.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١).

الـــوارد عن الإمام الرضا عن أبيه أن سليمان بن داود قال ذات يوم لأصحابه إن الله تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فسخر لي الريح والإنـــس والجن والطير والوحوش وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء ومـــع جميع ما أوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم إلى الليل وقد أحببت أن أدخـــل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا لأحد علي لئلا يرد علي ما ينغص يومي.

قالوا: نعم، فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئا على عصاه ينظر إلى ممالكه مسرورا بما أوتي فرحا بمـــا أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما بصر به سليمان عليه السلام قال لـــه: من أدخلك هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فبإذن من دخلت؟ قال الشاب: أدخلني هذا القصر ربه

١- سورة سبأ، الآيات: ١٢- ١٤.




وبإذنه دخلت.

فقال: ربه أحق به مني فمن أنت؟

قـــال: أنـــا ملك الموت، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قـــال: امض لما أمرت به فهذا يوم سروري وأبى الله عز وجل أن يكون لي ســـرور دونــــه لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه فبقى ســـليمان متكـــئا على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقـــدرون أنـــه حي، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال قد بقى سليمان عليه السلام متكئا على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنه لربـــنا الـــذي يجب أن نعبده وقال: قوم إن سليمان ساحر وأنه يرينا أنه وقاف متكـــئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، وقال المؤمنون: إن سليمان هو عبد الله ونبيه يدبر الله أمره بما يشاء فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبـــت فـــي عصاه فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان من قصره على وجهه فشكرت الجن للأرضية صنيعها(١).

سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾(٢).

داود اسم أعجمي وسليمان اسم عبراني.

لما مات داود عليه السلام ملك سليمان ولـــه من العمر ثلاث عشرة سنة.

١- الأنبياء حياتهم وقصصهم – العالمي.

٢- الآيتان رقم (١٥، ١٦) من سورة النمل.





وكان لداود عليه السلام تسعة ولدا أجلهم سليمان عليه السلام وعاش داود عليه السلام مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان وسيدنا محمد ﷺ ألف وسبعمائة سنة.

وورث سليمان عليه السلام من أبيه داود النبوة والعلم دون باقي أولاده... فقد اختاره الله عز وجل نبيا إلى بني إسرائيل وأيضا منحه الله تعالى الملك عليهم.

وكان لداود عليه السلام جيشا قويا وكان قائدا عسكريا لا يشق له غبار وليس له مثيل ولحب الله سبحانه وتعالى لداود وتأييده له كشف الله لداود عن أمور جعلت لجيشه ميزة وتفوق ساحق على غيره من جيوش الأرض فقد كان ماهرا في صناعة الدروع وكانت هذه الدروع في ذلك الزمن تعتبر طفرة هائلة في الحروب ولا علم لأحد بها إلا داود. هذا التقدم الخطير الذي منحه الله تعالى لداود وجيشه انتقل إلى ملك سليمان عليه السلام.

وهكذا ورث سليمان جيشا متقدما على غيره من جيوش الأرض وزاد الله سليمان.

فإنه كما تقدم ورث داود في الملك والنبوة، وورث أيضا الحكمة ولذلك أطلق الناس عليه اسم (سليمان الحكيم) ولم تكن حكمة سليمان مقصورة على عدله بين الناس ورحمته بهم وحكمه في قضاياهم بالحق إنما تجاوزت حكمته عالم البشر إلى عالم الطيور والحيوانات. فكان داود عليه السلام يعرف لغة الطيور لكن سليمان كان يتكلم مع الطيور ويوظفها في خدمته.

ولم يكتف سليمان بما ورثه من داود ومد يديه يوما لله وسأل





﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[١].

وقد استجاب الله تعالى لعبده سليمان ومنحه هذا الملك[٢] وعرفنا سبحانه وتعال بذلك قائلا:

١- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

٢- ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

٣- ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

ثم عقب الله كل ذلك بقوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٣].

ما أوتي سليمان من المعجزات

معجزة فهم سليمان كلام الطير

قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[٤] بل كان الزرع والنبات أيضا يكلمه وفهم كلامه.

ورد[٥] أن سليمان عليه السلام كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني

١- من الآية رقم (٣٥) من سورة ص.

٢- أنبياء الله: لأحمد بهجت بتصرف.

٣- الآيتان رقم (٣٩، ٤٠) من سورة ص.

٤- تفسير الجلالين: ط دار الفكر، بيروت.

٥- حاشية الصاوي علي الجلالين: ط الحلبي.




منطلق إلى أفراخي ثم أمر بك الثانية وأنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم: يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يثبوا ثم آتيك فافعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق.

وصاح عنده طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ لا قال: إنه يقول كما تدين تدان.

وصاح عنده هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: إنه يقول إن من لا يرحم لا يرحم.

وهدرت حمامة عند سليمان فقال: أتدرون ما تقول قالوا: لا قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى عدد ما في السماوات وما في الأرض.

قال كعب الأحبار: وحدثهم سليمان فقال لهم:

الحدأ يقول: كل شيء هالك إلى وجهه.

والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه.

والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس.

معجزة تسخير الريح

قال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[1]. سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام الرياح فكان يتحكم فيها ويستطيع أن يركبها هو وجنوده، ويستخدمها في أغراضه وتجري بأمره إلى حيث أراد في أي بقعة من البلاد. يقول الحسن البصري رضي الله عنه:

١- الآية رقم (٣٦) من سورة ص.





كــان ســليمان عليه السلام يغــدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغذى بها ويذهــب رائحــا منها فيبيت بكابل وبين دمشق واصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر[١].

قــال محمد بن كعب القرنطي: كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ فــي مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للأنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشــرون للوحوش وخمسة وعشرون للطير وقيل: نسجت الشياطين بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع على كراسي الذهب والعلماء علــى كراســي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهــم وتظلــله بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس فيأمر الريح المسخرة لــه بقدرة الله تعالى فترفعه ثم يأمرها فتسير به إلى حيث شاء[٢].

وروي عــن كعــب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمــه وحشمه وقد اتخذ مطابخ منها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قــدر عشــرة مــن الإبل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض.

واتخــذ ميادـيــن للــدواب فــتجري بين يديه والريح تهوي فسار من اصــطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله محمد ﷺ فلما وصل إليها قــال سليمان عليه السلام هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبــى لمــن اتــبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه ســليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إلهي ما يبكيك قال يا رب: أبكاني أن هــذا نبــي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يصلوا عندي

١- في رحاب الأنبياء والرسل: د/ عبد الحليم محمود.

٢- حاشية الصاوي علي الجلالين: ط الحلبي.



والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فإني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل منك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني أفرض عليهم فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان ثم حملت الريح سليمان عليه السلام ومضت به إلى حيث جاءت...

معجزة تسخير الجن لسليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[1] أعطى الله سليمان عليه السلام مقدرة لم يعطها لأحد من أنبيائه هي المقدرة على التحكم في الشياطين فقد وهب سليمان عليه السلام القدرة على تسخير الشياطين والتحكم فيها وتشغيلها وتقييدها بالسلاسل وتعذيبها إذا هي عصت أوامره ولم تنفذ ما أمرها به.

وكان من يتمرد عليه من الشياطين يقيد في الأصفاد ويصب عليه من ألوان العذاب ليكون ذلك إشارة إلى مجد سليمان وقدرته على التحكم في الكائنات بأمر الله تعالى وهي قدرة أعطاها له ربه عز وجل لتكون معجزة منه سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام.

وكانت الشياطين تبني له ما يأمرها ببنائه من القصور الشامخة والدور والقدور والتماثيل والمحاريب وكانت أيضا تغوص في أعماق البحار

١- الآيتان رقم (١٢، ١٣) من سورة سبأ.





وتستخرج لـــه اللؤلؤ والمرجان والياقوت.

ولقـد روى الإمـام البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " **إن عفريـتا مـن الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذتـه فـأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكـم فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فرددته خاسئا" أ هـ.**

وجاء على الأرض وقت فإذا سيدها بغير منازع هو سليمان ومع هذه الـنعم الكثيرة التي أنعم الله بها على سليمان كان سليمان أكثر الناس ذكرا لله وأكثر الناس شكرا لله في زمانه.

قال تعالى عن سليمان: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله.

وعاش سليمان عليه السلام في هذا الملك الذي آتاه الله لـه والذي لا ينبغي لأحد من بعده مسيطرا على الجن والإنس والطير ثم جاء ملك الموت وقبض روحه.

وكـان[2] موت سليمان عبرة فإنه اتكأ على عصاه ومات متكئا ومكث كذلـك ما شاء الله لـه أن يمكث والجن لا تعلم بموته ولكن السوس أخذ ينخر في عصاه فتكسرت فخر على الأرض فظهر للجن موته وكانوا لا يعلمون.

قال أصبغ بن الفرج، وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم قـال: قال سليمان لملك الموت: (إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال: يا

١- من الآية رقم (٣٠) من سورة ص.

٢- في رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود.





سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة).

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله دابة الأرض يعني إلى منسأته فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر، فلما رأت الجن ذلك أفضوا وذهبوا قال: فذلك قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

قال أصبغ: وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل منسأته حتى خر والله أعلم.





العزيز ودانيال

هـــذا الذي شك في قدرة الله (عز وجل) فأماته الله سبحانه مائة عام ثم بعثه.

معجزته:

أحـــيا الله تعـــالى قلبه وبصره وجعله يبصر كيفية إحياء الموتـــى بإعادة نشر عظامها أي إعادة تركيبها وكسائها لحما ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٩)





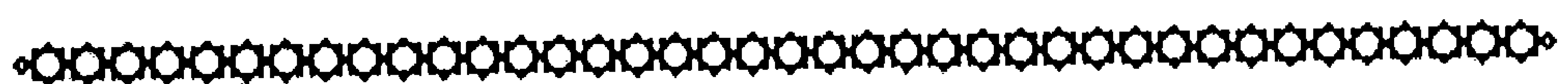
العزير و دانيال

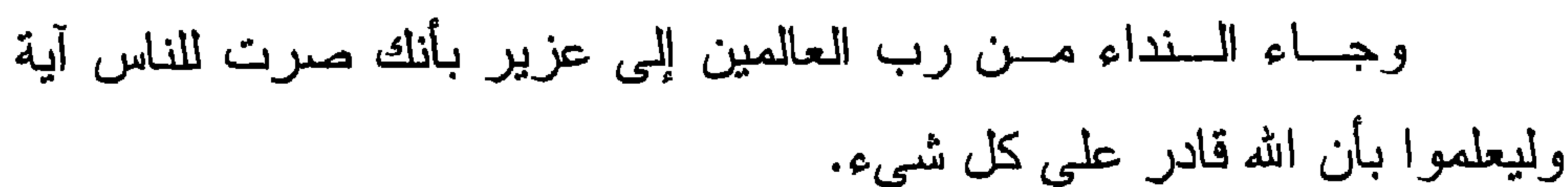
العزيـــز ودانـــيال من الأنبياء وقد عاصرا ملوك بخت نصر، وملوك بخت نصر كانوا يحكمون الناس بالقوة والقهر وكانت بينهم وبين بني إسرائيل عداوة، وأحد ملوك بخت نصر قام بتهديم بيت المقدس وهو الذي بنى الجنائن المعلقة في بابل التي تعد من عجائب الدنيا السبعة في ذلك الوقت.

وذكـــر أن عزير كان من أولاد الأنبياء ومن الصالحين الذين حفظوا التوراة وكتاب داود وسليمان.

ويومـــا كـــان راكـــبا على حماره مارا بإحدى القرى القريبة من بيت المقدس فوجد أن أعداء الله قد هجموا على هذه القرية وأبادوا أهلها جميعا.

أما حدائقهم فقد كانت مخضرة وثمارها قد حان قطافها. فاقتطف كمية مـــن الثمار وجلس جانبا يأكل الخبز اليابس المبلل بعصير تلك الفاكهة وأثناء أكلـــه كان ينظر لعظام الموتى من أهل تلك القرية ويفكر في الموت، وكيفية إحـــياء الله لموتـــى بعد أن صاروا بهذه الصورة من العظام النخرة، وعندما تصـــور هـــذا الأمـــر أخذه النوم وأمر الله سبحانه وتعالى ملك الموت بقبض روحه وبقي مائة عام بدون روح، وبعدها أحياه الله، فقالت لــــه الملائكة: الآن انظر كيف يحيي الله الموتى. ونظر عزير إلى حماره الذي كان مربوطا هناك فلـــم ير منه إلا هيكله العظمي، وبما أنه شاهد أن كل ما يحيط به قد تغيرت معالمه، عندها علم أن سنين طويلة قد مرت عليه وأما طعامه فلم يتغير وبقي كما هو. عندها ذهبت الوساوس الشيطانية من ذهنه وشهد شهادة يقينية بقدرة الله علـــى أن يميت الأحياء ويحيي الموتى ويبقي الأشياء على ما هي وكيف يشاء.





وجـاء الـنداء مـن رب العالمين إلى عزير بأنك صرت للناس آية وليعلموا بأن الله قادر على كل شيء.

قال تعالى في كتابه الكريم يصور ما جرى لعزير بأحسن الصور في سـورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ذكـر أن ابـن الكوا قال لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام): ما ولد أكبر من أبيهم في هذه الدنيا؟

فقال علي (عليه السلام) لـه: نعم أولئك ولد عزير حيث مر على قرية خربة وكـان تحته حمار ومعه شنة فيها لبن وكوز فيه عصير فمر على تلك القرية فقـال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام فتوالد ولده أكبر من أبيهم.

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام): أن عزيرا خرج من عند أهله وامرأته في شهرها ولـه يومئذ خمسون سنة، فلما ابتلاه الله عز وجل بسؤاله واعتراضه أماتـه الله مائة عام ثم بعثه فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة، وقد رد الله عزيرا في السن الذي كان به[2].

ورجـع عزير إلى بيته فوجد محلته وأزقتها قد تغيرت ورأى ابنه وقد صار شيخا.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

٢- الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملي.




فقال لــه عزير: أنت ابني وأنا أبوك.

فأجابــه الولد: إنك تستهزئ مني لكونك شاب وأنا شيخ إن أبي قد فقد أثره منذ مدة طويلة.

فقــص عزير قصته وذكر لــه دلائل وعلامات أقنع ابنه بها فآمن به، فكان الناس يأتونه أفواجا وقد تملكتهم الدهشة والعجب مما حدث.

فقال لــه الناس: إذا كنت عزيرا كما تدعي فاقرأ لنا التوراة عن ظهر قلــبك لكــي نعيد كتابتها فقد نسينا التوراة، فقرأ عزير التوراة عن ظهر قلب فكتبوها وقارنوها بالتوراة التي كانت عندهم فلم يجدوا فيها فرقا فآمنوا به.

وقد بعث عزير ليهدي جماعة من قوم بخت نصر.

أما دانيال فإنه نبي معروف ولكن لا يوجد لــه ذكر في القرآن.

ويقال أنه كان يتيما مات أبواه، وأشرفت على تربيته امرأة عجوز من بنــي إسرائيل وكان ذكيا وعالما منذ نعومة أظفاره، وإذا حكم بين الناس فإنه يحكــم بــالعدل ولديه حل لكل مشكلة إلى حد أصبح معروفا بحلال المشاكل والمحيط بالأسرار من الأمور، وقد بعث إلى مجموعة من قوم بخت نصر.

وقــد أخبر بخت نصر بأن وجهه سيمسخ من كثرة الذنوب والظلم وقد تحقق ذلك ومسخ بخت نصر وأصبح شكله قبيحا كالعفارتة وعندما خرج من قصــره تــنكر لــه حرس القصر واعتبروه غريبا، فقال لهم: أنا بخت نصر. قالوا لــه: إن بخت نصر نائم في القصر وقبضوا عليه.

وأصــبح بخت نصر مضربا للأمثال حيث يطلق على كل شيء قبيح وغير محبوب اسم بخت نصر.

وقــد تحمل دانيال في دعوته لقومه أذى كثيرا شأنه شأن باقي الأنبياء وفــي أواخر عمره كان مقدرا ومحترما من قبل أحد ملوك بخت نصر وكذلك





فـــإن كـــورش أحد ملوك الفرس كان يكن لـــه احتراما كبيرا، ومع ذلك كله فعـــندما أصـــبح دانيال سيد القوم حسدوه على ذلك فألقوه في حظيرة الأسود ولكـــنه نجا منها ومات بأجله المقدر لـــه وقد خلد اسما وعلما شأنه شأن باقي الأنبياء.



صاحب الحوت

يونس عليه السلام

هذا الذي ذهب مغاضبا من قومه: ولم يصبر عليهم فكان الحوت والبحر والظلمات في انتظاره، وحين رجع مسبحا مستغيثا كانت النجاة.

معجزته:

١- نجاته في بطن الحوت أكبر معجزاته.



يونس عليه السلام

يونـــس من أحفاد النبي هود وأمه من بني إسرائيل. بعثه الله إلى قوم يــبلغ عددهــم مائة ألف نسمة وقد انشقوا من قوم ثمود، وقد مكث يونس في قومه أربعين عاما يدعوهم للإيمان، ولكن قومه كانوا يقولون لـــه: لو قطعتنا إربا إربا لما آمنا بك ولما اعتقدنا بإله لا نراه.

وكان يقول لهم: إن آثار قدرة الله تدلل على وجوده فقد خص برحمته المؤمنيــن وبعذابــه الكافريــن والمشــركين، فما كان من قومه إلا أن ازداد إصرارهم في أذاه وعدم تصديق كلامه، حيث كانوا من عبدة الأوثان، وعندما نفد صبر يونس غضب على قومه وأنذرهم بنزول العذاب.

فقالوا لـــه: لننتظر ماذا ستفعل؟

ولمـــا اقـــترب موعد نزول العذاب خرج يونس من بين قومه غضبانا وركـــب الســـفينة ليعـــبر الـــبحر ويبتعد عن قومه الكافرين وكان في السفينة مجموعـــة عرفوا أن يونس من الصالحين، وعندما وصلت السفينة إلى وسط الـــبحر خرج حوت واعترض السفينة فهددها بالغرق، فقال ملاح السفينة: لا يوجد لدينا طريق للنجاة من هذا الحوت الجائع إلا أن نلقي أحد ركاب السفينة في فمه فإنه لا يتركنا فقرعوا على من يكون سهم الحوت فوقعت النتيجة على يونـــس. فقـــالوا: إن يونس شيخا كبيراً صالحاً عابداً لنقرع مرة أخرى فكانت النتـــيجة كذلـــك على يونس وكرروا القرعة ثالثة فوقعت النتيجة على يونس فالـــتقمه الحوت، فتضرع يونس إلى ربه نادما وقال: لعلني ابتليت بهذا الأمر لأننـــي لمن أصبر على أذى قومي، ونذر بأن لو نجا من هذا الابتلاء لعاد إلى قومه يتحمل أذاهم ويسعى مرة أخرى لهدايتهم، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى




استجاب دعاءه وأمر الحوت أن يقذفه إلى الساحل، وفي هذه الأثناء كانت علائم العذاب تظهر شيئا فشيئا واضحة لقوم يونس فأخذ المؤمنون ينصحون الضالين من القوم الذين رأوا عذاب الله ينزل عليهم جليا فتابوا إلى الله وتذكروا يونس ليؤمنوا به فرفع عنهم العذاب.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (١).

وقوم يونس كانوا أول قوم ينزل عليهم العذاب ثم يرفع عنهم، وبعدها صمم يونس على هداية قومه عندما شاهد آثار الندم ظاهرة عليهم فكانت عاقبة قومه إلى خير وصلاح، هذه هي قصة يونس الذي التقمه الحوت وبقي في بطنه حيا بأمر الله ورجع إلى الحياة مرة أخرى.

١- سورة الصافات، الآيات: ١٣٩- ١٤٨.





زكريا ويحيى عليه السلام

لقد رزق زكريا الولد يحيى بعد أن بلغ من الكبر عتيا ليكون وريثا له في النبوة عندما شاهد عند مريم الصديقة عليهما السلام فاكهة الشتاء في الصيف عندها دعا ربه أن يهبه ذرية طيبة فكانت الإجابة من الله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم:٧)

وقد شاءت إرادة الله أن يقتل يحيى شهيدا في محرابه قبل موت والده زكريا: كما قتل قتلة يحيى زكريا بنشره في الشجرة بعد قتلهم يحيى بزمن وجيز...

معجزته:

ومعجزة زكريا سير قلمه عكس أقلام القوم في سماء يوم اقتراعهم لكفالة مريم عليهما السلام وكفلها زكريا.





زكريا ويحيى عليهما السلام

النبـــي زكريا من أبناء يعقوب، وبينه وبين داود ثلاثمائة سنة، وكان رئيســا لعلمــاء الدين في بيت المقدس وزعيما للمؤمنين، وكان يعلم بشريعة موسى، وقد بلغ عمره مائة وخمس عشرة سنة.

وبعث للنبوة وعمره أربعون سنة وكانت امرأته عقيما فكان يتمنى أن يــرزقه الله ولدا وقد دعاه كثيرا لتحقيق هذا الأمر، ويوما كان ساجدا الله في محــراب المسجد الأقصى وكان يدعو الله لقضاء حاجته وبصوت خفي قائلا: إلهي لقد وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا لولا رزقتني ولدا صالحا ليرثني وآل يعقوب ويكون عندك مقبولا.

فبشـــره جبرائــيل بأنه سيكون لك ذلك واسم الوليد سيكون يحيى ولم نجعل لـــه سميا.

فقال زكريا: يا رب كيف سيكون لي غلام وقد أصبحت شيخا وامرأتي عقــيم؟ فجاءه النداء: إذا أراد الله شيئا فإنه سيكون هينا، فلا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا.

وعــندما خــرج زكريا من المحراب لم يكلم الناس ثلاثة أيام فاطمأن وخرج من هذه العلامة.

وبعد أربعة أيام حملت امرأته وفي الوقت المقرر أنجبت يحيى.

قـــال تعالى في كتابه الكريم يصف زكريا عليه السلام: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ



مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ۞ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ (١).

وبقي زكريا مواظبا على خدمة بيت المقدس وهو يتولى مهمة النبوة وكان يحيى أفضل بني إسرائيل حيث كان قد تعلم الكتاب والحكم ولم يزل صبيا حيث كان يقرأ التوراة وعمره أربع سنوات وكان عالما شديد العطف على الناس.

وكان أكثر الناس إحسانا إلى والديه وهو أول شخص صدق بنبوة عيسى وبشر به، وبعث إلى النبوة وهو في سن الصبا ولكن عمره كان قصيرا حيث استشهد في أيام شبابه على يد (هيردوت) حاكم نينوي وذلك لأن يحيى منعه من الزواج من ربيبته التي كانت من بني إسرائيل حيث أن الزواج من الربيبة يعتبر حراما.

وكان يحيى في صغره يمتنع من اللعب مع الأطفال ويقول؛ لم أخلق لكي ألعب ولو علم الناس كم هي فائدة العلم وكيف أن عمر الإنسان قصير لما انشغلوا باللعب.

وكان تقيا وصادقا يبكي من خوف الله ولم يستعمل الخشونة في تعامله مع أي شخص ولم يضحك أبدا، ويقول: إن الضحك بصوت مرتفع ناشئ من الغفلة وزينة المرء أن يبتسم وأن يكون بشوشا.

١- سورة مريم، الآيات ٢- ١١.


وفـــي روايـــة عن الإمام الرضا عليه السلام في كتاب حياة القلوب قال: إن يحـــيى كان يبكي ولا يضحك ولكن عيسى كان يبكي ويضحك وما كان يفعله عيسى أفضل مما كان يفعله يحيى.





عيسى عليه السلام

عـبد الله ورسـوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

معجزاته:

عبر وعظة للقلوب القاسية:

١- أجلها كلامه في المهد صبيا.

٢- إحياء الموتى بإذن الله عز وجل.

٣- إبراء الأكمه والأبرص.

٤- ينفخ في الطين فيكون طيرا بإذن الله.





عيسى عليه السلام

النبـــي عيسى عليه السلام رابع أنبياء أولي العزم ولقبه روح الله والمسيح، وهـــو صـــاحب شريعة وكتاب، وشريعته كانت مكملة لشريعة موسى عليه السلام، وعيسى أول نبي كلم الناس وهو في المهد وبشر بنبوته، ولـــه شبه بآدم عليه السلام حيث خلقه الله من تراب ونفخ فيه من روحه، وعيسى خلقه الله سبحانه وتعالى من غير أب ومن أم عذراء.

أمه مريم بنت عمران، وعمران من سلالة داود وهو من أصفياء بني إسـرائيل، وزوجـــة عمـــران تسمى (حنا) ولم يكن لها ولد، ودعت ربها أن يـــرزقها ولدا صالحا وعندما حملت نذرت وهي في محراب عبادتها قائلة: يا رب إنـــي جعلت ما في بطني محررا ليخدم الدين في البيت المقدس ولا يعمل عمل غير العبادة وخدمة الدين.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(١).

وعندما وضعت حملها كان المولود أنثى فسمتها مريم ونادت ربها إني وضـــعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى كي أجعلها في المسجد خادما كما نذرت، وإنـــي أعيذها وذريتها بك من شر الشيطان الرجيم. فجاءها النداء: إنا رضينا بهـــا خادمـــة للدين وستلد ولدا يرفع كلمة الله وسيعم دينه المشرق والمغرب وعـــندما بلغـــت مـــريم السابعة وصارت مؤهلة للخدمة ذهبت أمها إلى بيت

١- سورة آل عمران، الآيتان: ٣٥، ٣٦.





المقــدس حيــث كــان زكريا وأولاد الأنبياء والعلماء قد جلسوا في المحراب يكتبون ويتلون التوراة.

فقالـــت أمها لزكريا: إنني نذرت مولودي هذا لخدمة المسجد ولم أعلم بأنـــي ســـألد أنثى، والآن وقد وضعتها أنثى فأريد أن أفي بنذري وجئت بها لتكون خادمة في المسجد.

فقـــال زكريا: الحل في القرعة. ألقوا أقلامكم في الماء وكل من يطفو قلمه على الماء فهو الذي سيكفل مريم. وألقوا أقلامهم في الماء فلم يطفو منها إلا قلم زكريا.

فقـــالوا لـــه: لقد اختارك الله سبحانه وتعالى لهذا الثواب وكان زكريا شيخا محترما جليل القدر بين قومه، فأمر بأن يقوموا باحترامها وأسكنها زاوية مـــن المســـجد وهيأ لها مكانا معزولا لكي تنقطع للعبادة، وكان زكريا يأتيها أحيانا ليتفقد أحوالها ويقوم بخدمتها.

ومرة حدث أن بقيت مريم ثلاثة أيام وقد نسي زكريا أن يأتيها بطعام أو شراب، وعندما جاء زكريا ليتفقد أحوالها ودخل عليها المحراب وجد عندها فواكـــه فـــي غير موسمها ولا مثيل لها في تلك البلاد فتعجب وسألها: أنى لك هذا؟

فقالت مريم: من فواكه الجنة.

فازداد احترام مريم وعرفوا بأنها تحظى بالرعاية الإلهية وبقيت مريم علـــى هـــذا الوضع من العزة والاحترام عابدة متنسكة حتى بلغ عمرها أربعة عشر عاما.

قـــال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا



زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ۝ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ۝ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١).

وعندما بلغت مريم الطمث قالت: لا مكان بعد لي في هذا المسجد فاستأذنت من زكريا بترك المسجد والذهاب إلى بيته حيث كانت زوجة زكريا خالة مريم، فيممت مريم وجهها شطر ماء لتغتسل به، وعندما اغتسلت وارتدت ثيابها لاح إلى نظرها شيخ نوراني فاضطربت وقالت أعوذ بالله منك إن كنت تقيا.

فقال لها الشيخ: أنا ملك مرسل من قبل الله لأبشرك بأن الله وهب لك غلاما طاهرا ومباركا وصادقا.

فقالت مريم: كيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر؟

قال لها جبرائيل: كما قلت ولكن هذا المولود سوف يكون آية من آيات الله الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى يسير الأمور بأسبابها إلا المعاجز فإنها تكون بتدخله المباشر وهي دلائل عظمته.

١- سورة آل عمران، الآيات: ٣٧- ٤٤.



فـنفخ فـي جيـبها الأمانة الروحية فرجعت مريم إلى بيتها وانشغلت بالعبادة وكانت فرحة ومشغولة بالتفكير فيما حدث وخائفة من أن يتهمها الناس بذنـب هـي بريئة منه، وكانت مدة حمل مريم قصيرة جدا وعندما حان وقت وضعها أمرها جبرائيل أن تخرج من البيت وتتخذ لها مكانا بعيدا عن المدينة.

وفـي الصـحراء وتحت ظل نخلة يابسة أحست بدنو ولادتها، وهناك وضعت مريم حملها وكان ولدا مقدسا، وفي تلك اللحظات أخذت تفكر وتقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا حتى لا أكون عرضة للوم الآخرين.

قال تعالى في كتابه الكريم يصف هذه المشاهد: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(١).

وفـي سورة أخرى نرى القرآن يصور هذه الحوادث بشكل جميل إذ يقـول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ۝ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ۝ قَالَ

١- سورة آل عمران، الآيات: ٤٥- ٤٩.



كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ۞ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾[1].

وفجأة اخضرت النخلة اليابسة ونبعت عين ماء من تحت قدم المولود.

وجاء النداء لمريم: أيتها العذراء الطاهرة لا تحزني وكلي من تمر هذه النخلة ولا تكلمي الناس واتركي الجواب لوليدك، وكان من عرف ذلك الزمان اعتبار الصمت وعدم التكلم صوما ولما جاءها آل زكريا وشاهدوها على ذلك الحال سألوها عن سر هذا الأمر؟ وقال لهم أحدهم وهو يلومها: ما كان أبوك امرأ سوء ولم تكن أمك بغيا فما هذا الذي نراه معك؟ فأشارت مريم بأنها صائمة ولا تكلم أحدا وأن اسألوا المولود.

قال: كيف يستطيع الطفل أن يتكلم ويكشف لنا الحقيقة، لم نر أبدا طفلا صغيرا يستطيع الكلام، فبادر عيسى عليه السلام قائلا: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وبرا بوالدتي ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا.

وجاء النداء الرباني لمريم كما يصور القرآن الكريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ

١- سورة مريم، الآيات ١٦- ٢٤.





كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(١).

فعرف بنو إسرائيل أن سوء ظنهم بها يعتبر ظلما لها وتحيروا في أمر عيسى، فآمن به بعضهم بعدما انتشر خبره، وأول من آمن به يحيى بن زكريا وهو ابن خالته وبعضهم بقي مصرا على العناد وسوء الظن، ولما أخذ الأعداء يـؤذون مـريم بألسنتهم اللاذعة جاء الأمر بأن تهاجر مع ولدها إلى الناصرة وبقيـت هـناك محترمة من قبل المؤمنين إلى أن كبر عيسى فكان يذهب إلى بيـت المقدس ليلتقي مع أولاد الأنبياء وكتاب التوراة ليتذاكر معهم، ولمن يكن أحد بقادر على أن يأتي بجواب ما لديه من الحكمة والأدلة فاعترفوا بحكمته.

وعـندما بلـغ عيسى الثلاثين من عمره أنزل الله عليه كتاب الإنجيل وأمـر بدعوة الناس، ورجع إلى بيت المقدس ومن هناك أخذ يدعو الناس إلى دينه الحق ولمدة ثلاث سنين، وأخذ يبين لهم الأحكام النازلة في الإنجيل ولأنه مـن الأنبياء أولي العزم فإنه أخذ يرى المعاجز في هذه المدة ومن بينها إحياء الموتـى وإبـراء المرضى الذين يصعب شفاؤهم بدعائه، وبالنفس المسيحي المـبارك أرجع البصر إلى الذين ولدوا فاقدين أبصارهم فآمن به بعض اليهود بـإخلاص وصـفاء وكـذب أكثرهم ولم يذعنوا لقول الحق، وكانوا يتهمونه بالسـحر ويقولـون هناك اختلاف بين التوراة والإنجيل وحسبنا كتاب التوراة وكفى.

فاستمر عيسى يروج الأحكام الإلهية بلطف وعطف، وانتخب من بين المؤمنين برسالة اثني عشر شخصا أسموهم (الحواريون) كانوا يلازمونه دائما ويمتـثلون لأوامـره ويسـعون إلى هداية الناس من أي مكان يرونه مناسبا،

١- سورة مريم، الآيات ٢٥- ٣٠.




وعندما أخذ أنصار عيسى يكثرون في بيت المقدس وفي المدن الأخرى، خاف اليهود وأخذوا يوسوسون لملك اليهود ويؤملونه ويخوفونه بقولهم: إن عيسى لا يريد أن يغير دين موسى فقط وإنما يبشر بنبي بين العرب وعن قريب ستزول عزتـنا وملكنا، فألبوا ملك اليهود على قتل عيسى، وعندما تجذر دينه ورسخ أسس المحبة والأخوة في قلوب المؤمنين والصالحين علم أن مهمته قد انتهت فاشتاق إلى القرب من ربه لأنه كان وحيدا في هذه الدنيا وليس لديه أحد سوى أمــه، وكــان لا يتمــنى من هذه الدنيا إلا صلاح الناس وهدايتهم وسعادتهم، وعــندما تكاملت مهمته جمع الحواريين في ليلة لينصحهم النصيحة الأخيرة، فأوصاهم بنشر تعاليم الإنجيل في أي مكان يذهبون إليه، فإن التوراة والإنجيل يعتــبران أساس الفلاح والصلاح، وفي ختام نصيحته أخذ عيسى يكرم ويعظم ويعطف على الحواريين ويلاطفهم.

وعــندما سألوه عن سر حديثه معهم بهذه الصورة قال: أريد أن أكون قدوة لكم في كيفية التعامل فيما بينكم من بعدي بعد ذلك قال لهم: أتأسف على أن أحدكــم ســيرتد قــبل طلوع الفجر وسوف يبيع دينه بمبلغ زهيد، فأظهر الحواريــون أسفهم من هذا الخبر وقالوا: إن هذا غير ممكن أن نخون شخصا كــريما مــثلك، ولكن عندما جاءت شرطة السلطان اليهودي في طلب عيسى ليصــلبوه، ذهبوا في طلب بعض الحواريين ليسألوهم عن عيسى وكان الوقت ليلا فقالوا لهم: لا علم لنا به وبمحل إقامته، لكن أحدهم طمع بمال الدنيا وأخذ الرشوة وقام هذا التلميذ الخائن بإخبار الأعداء بمحل عيسى فألقوا القبض عليه وأخذوا يوجهون لــه الكلام الخشن وقالوا لــه: إذا كنت تدعي الإعجاز فنجي نفسك منا ومن الصلب.

فقــال لهم عيسى: إن كل ما يريده الله سيكون، وعندما جمعوا الناس



وأرادوا صـــلبه غـــاب عيسى بقدرة الله عن أنظارهم ورفعه الله إلى السماء ولكـــنهم بعد أن أعلنوا بأنهم سيصلبون عيسى وينهون أمره ولأن عيسى غاب عن أنظارهم أخذوا يبحثون عنه في كل مكان فعثروا على تلميذه الخائن حيث كـــان يشـــبهه فخـــيل لهم بأنه هو فصلبوه بمكان عيسى وقالوا لليهود: انتهى الأمر.

وهكذا ذهب عيسى إلى مقام القرب من الله وتحمل الحواريون من بعده العناء والمصاعب في سبيل نشر دين عيسى وشريعته وأخذ اليهود يناصبونهم العـــداء في كل مكان، وكانت تلك الأيام صعبة جدا حيث إن حفظ ما كتب من الإنجـــيل أصبح أمرا ليس بالهين وكذلك أخذوا يتداولون روايات مختلفة باسم الإنجيل، ومرت سنون إلى أن اعتنق ملك الروم المسيحية، ومن ذلك اليوم فقد أرســـى الدين المسيحي قواعده في أرجاء العالم، واتخذ المسيحيون من ولادة عيســـى عليه السلام بدايـــة لتاريخ جديد وكانت الفترة بين عصر عيسى عليه السلام إلى عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبي الخاتم ما يقارب الستمائة سنة.

لم سمي عيسى مسيحا؟ ولم قيل لـــه روح منه؟

أصل المسيح: المسموح، صرف من مفعول إلى فعيل وسماه الله بذلك لتطهيره من الذنوب.

وقـــيل: لأنـــه مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه.

ومعنى روح منه[1] اختلف فيه أهل العلم:

فقال بعضهم: معنى قوله: وروح منه: ونفخة منه لأنه حدث عن نفخة

١- تفسير الطبري: ط دار الفكر.


جبريل عليه السلام في مريم بأمر الله عز وجل إياه بذلك فنسب إلي أنه روح من الله عز وجل؛ لأنه بأمره كان. إنما سمي النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام.

إيمانه وورعه عليه السلام

روى[١] عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل و لا مال ولا يدخر شيئا لغد.

وقال بعضهم: كان يأكل من غزل أمه عليه السلام وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت.

وقال[٢] الفضيل بن عياض، عن يونس بن عبيد كان عيسى عليه السلام يقول: لا نصيب حقيقة الإيمان حتى لا نبالي من أكل الدنيا قال الفضيل: وكان عيسى يقول: فكرت في الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندي ممن خلق وعن الحسن قال: إن عيسى عليه السلام رأس الزاهدين يوم القيامة.

وعن يحيى بن سعيد قال: كان عيسي يقول: اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكان يقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورثت أهلهاحزنا طويلا.

١- البداية والنهاية: لابن كثير، الجزء الأول، ط دار المعرفة، بيروت.

٢- المرجع السابق.





وعــن عيسى عليه السلام: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت وكن في الدنــيا ضــيفا واتخــذ المساجد بيتا وعلم عينيك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة.

وقال سفيان الثوري: قال عيسى ابن مريم: لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء.

معجزات عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [1] صدق الله العظيم.

معجزة الكلام في المهد

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

المهد: مضجع الصبي في رضاعة أي يكلم الناس طفلا في المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون من بني إسرائيل وحجة لــه عليه السلام على نبوته.

١- الآيات رقم (٤٥- ٤٩) من سورة آل عمران.





معجزة خلق عيسى للطير بإذن الله

روى[١] أن عيسى عليه السلام جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال:أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا: وتستطيع ذلك؟!

قال: نعم بإذن ربي سبحانه وتعالى.

ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال: كن طائرا بإذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فأفشوه في الناس وترعرع.

فهمت به بنو إسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمار لها ثم خرجت به هاربة.

معجزة إبراء الأكمة والأبرص

الأكمه: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه أو هو الأعمى الذي ولدته أمه كذلك.

الأبرص: هو بياض يصيب بعض الجلد فيجعله مشوها وإنما أخبر الله عز وجل عيسى عليه السلام أن يقول ذلك لبني إسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات والمعجزات عليهم في نبوته وذلك أن الكمه والبرص لا علاج لهما فكان ذلك من أدلته على صدق قوله إنه لله رسول لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التي أعطاها الله إياها دلالة على صدق نبوته.

١- الصاوي علي الجلالين: ج١، ط الحلبي.





معجزته إحياء الموتى

وكان إحياء عيسى عليه السلام للموتى بإذن الله أي إرادته وقدرته لا بإرادته وقدرته هو فإنه لا يحيي الموتى إلا الله عز وجل أو من أذن لـــه الله.

قــيل: أنـــه أحـــيى ســـام بن نوح فكلمهم وهم ينظرون وذهب بعض المفســرين المحدثيـــن إلى أن المراد إحياء موتى القلوب والنفوس وهو تأويل فاســد بكل المقاييس منكر لإحدى معجزات عيسى عليه السلام التي اختصه الله بها وإلا فإن أكثر الصالحين يحيون موتى القلوب والنفوس.

معجزة إخباره بما يأكلون وما يدخرون

فكـــان عليه السلام يخبرهم – أي قومه- بما يأكلون بما لم يعاينه أو يشاهده معهـــم فـــي وقـــت أكلهـــم لـــه وكان عليه السلام يخبرهم أيضا بما يدخرونه وما يخبئونه.

عـــن الإمـــام السدى قائلا: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعونه لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون لـــه من أخبرك بهذا؟

فيقول: عيسى ابن مريم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

فحبســـوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فخبؤوهم في بيت فخابر عيسى يطلبهم فقالوا لـــه ليس هم هنا..

وقـــيل: أنـــه عليه السلام كان يقول لأحدهم يا فلان لقد أكلت كذا وكذا في يومك وادخرت كذا في بيتك وذلك بغير تفكير منه أو استنطاق لرمل أو أرقام



كمـــا يفعـــل الدجـــالون الآن – ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصـــها وكيف يحفظونها ويدخرونها وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والعلاجات وقد تخصص فيهما معجزة لـــه عليه السلام.

معجزة نزول المائدة لقومه لما طلبوا منه

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ومضـــمون هذه المعجزة العظيمة التي سألها بنو إسرائيل لتنزل عليهم ويأكلون منه كالآتي:

مضـــمونها[2] أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموهـــا ســـألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلـــك قلوبهـــم أن الله قـــد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم وتكون لهم عيدا يفطـــرون علـــيها يـــوم فطرهم. والمعنى[3] أن نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه ونصـــلي فـــيه نحن ومن يجيء بعدنا فنزلت في يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا.

١- من الآية رقم (١١٢- ١١٥) من سورة المائدة.

٢- البداية والنهاية: ابن كثير، ط دار المعرفة.

٣- الفتوحات الإلهية: للجيلي الشهير بالجمل، ط دار الفكر.



فوعظهم[١] عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من الشعر ووصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين عمامتين وجعلت تدنو قليلا قليلا وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين.

وقيل: لم يكشفها هو بل قال: ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويسمي الله فقام شمعون رئيس الحواريين. فقال: يا روح الله: أمن طعام الدنيا أم طعام الجنة؟ فقال عيسى: ليس من هذا ولا من هذا، ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته فكلوا مما سألتم فقالوا: يا روح الله: كن أنت أول من يأكل منها فقال: معاذ الله أن آكل منه يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجزام والمقعدين فقال: كلوا مما رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة وفي رواية وهم سبعة آلف وثلاثمائة فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى تورات عنهم ولم يأكل منها مريض أو مبتلى إلا عوفي وندم من لم يأكل منها فمكثت تنزل أربعين صباحا فإذا نزلت اجتمع لها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها[٢].

١- البداية والنهاية: ابن كثير، ط دار المعرفة.

٢- الفتوحات الإلهية: للجيلي الشهير بالجمل، ج١، ط دار الفكر، بيروت.





وفي القرطبي: فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وتشرب يوما فمكث أربعين يوما تنزل ولا تزال هكذا حتى يضيء الفيء من موضعه.

فيأكل الناس منها ثم ترجع إلى السماء والناس ينظرون إلى ظلها حتى تتوارى عنهم فلما تمت أربعين يوما أوحى الله لعيسى عليه السلام يا عيسى: اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء فتمارى الأغنياء في ذلك وعادوا الفقراء.

وقد[1] روي عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: نزلت المائدة من السماء خبز ولحم، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا ورفعوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير، أي فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلاً مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير ولما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا[2].

وفي القرطبي: فعاشوا سبعة أيام وقيل أربعة أيام ثم دعا الله عيسى أن تقبض أرواحهم فأصبحوا لا يدري هل الأرض ابتلعتهم أو ما فعل الله بهم.

وقد اختلف العلماء[3] في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار وكما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن الكريم ولا سيما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ كم قرره ابن جرير والله أعلم.

١- البداية والنهاية: لابن كثير، ج١، ط دار المعرفة، بيروت.

٢- الفتوحات الإلهية: للجيلي الشهير بالجمل، ج١، ط دار الفكر، بيروت.

٣- البداية والنهاية: ابن كثير، ج١، ط دار المعارف.





وفاة عيسى عليه السلام

حدث[١] القرآن الكريم أن الله تعالى لم يسمح لبني إسرائيل بقتل عيسى أو صلبه وإنما نجاه الله تعالى من كفرهم ورفعه إليه فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٢].

١- أنبياء الله: لأحمد بهجت، ط الريان.

٢- الآيتان رقم (١٥٧، ١٥٨) من سورة النساء.





خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ

خـير الخلـق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ: أنزل الله تعـالى علـيه الكـتاب مقترناً بالحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وأعطـى جوامع الكلام: وأعطاه الحق عز شأنه من المعجزات مثل ما أعطى الأنبياء جميعهم وزيادة: فهو ﷺ.

معجزاته:

أكـثر الأنبياء معجزات وسنورد في هذا البحث مقارنة بني معجزاته ومعجزات الأنبياء.





محـــمـــد ﷺ

النبـــي المصطفى ﷺ الرسول العربي وهو خامس الأنبياء أولي العزم وخاتم الأنبياء جميعا، وببعثته ونزول القرآن اكتمل دين الله لن يبعث بعده نبي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سبق وأن ذكرنا بأن لإبراهيم ولدين وهما إسماعيل وإسحاق وقد وصل مجموعة من نسلهم لدرجة النبوة والزعامة، ومن إسحاق الذي كان من كنعان ولـــد يعقوب الذي يلقب بإسرائيل، وأنبياء بني إسرائيل من يعقوب، أما أجداد النبـــي الخـــاتم فقد كانوا من نسل إسماعيل وكل واحد منهم كان يتولى إدارة شـــؤون الكعبة في عصره. وكانوا معززين بين الناس، حيث سكنوا مكة التي كانـــت تعتـــبر مركزا لشبه الجزيرة العربية، وهناك وفي جهات أخرى كانت تنتشـــر الضـــلالة، وكان لكل قبيلة من القبائل العربية عادات وتقاليد حيث أن قسماً منهم كانوا يعبدون الأصنام، وقد أقاموا تماثيل لأصنامهم في الكعبة وكان عباد الله يتألمون من ذلك وليس إلا النصائح يقدمونها لهؤلاء الضالين إلى أن جاء عصر رسالة الرسول الأكرم حيث انتهت عبادة الأصنام.

أما جدّ الرسول فهو هاشم من مشاهير التاريخ ومن قبيلة قريش وابنه عـــبد المطلـــب كان لـــه ولد اسمه عبد الله هو والد الرسول الأكرم ﷺ الذي اصطفاه سبحانه وتعالى ليبعثه إلى العالم كافة وإلى آخر الزمان فالرسول ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

ولد الرسول الأكرم ﷺ في ١٧ ربيع الأول من سنة ٥٦٩ من التاريخ المسيحي من أم اسمها آمنة وكانت ولادته بعد مرور عدة أشهر على ارتحال والده من الدنيا، فجاء محمد ﷺ إلى الدنيا يتيماً، وسمّي عام ولادته بعام الفيل




حيــث قام أبرهة حاكم اليمن في تلك السنة بالهجوم على مكة بالفيل حيث كان يبغي هدمها وقد أهلك الله سبحانه وتعالى أصحاب الفيل بأن أرسل عليهم طيراً من أبابيل ترميهم بحجارة من سجِّيل فجعلهم كعصف مأكول.

وعندما ولد محمد ﷺ أقام عبد المطلب احتفالاً أسمى فيه الوليد السعيد محمــداً ومعناه المحبوب، وقد تعهد عبد المطلب بإدارة شؤون عائلة عبد الله، وفــي ذلــك الزمان كانت عادة وجوه قريش هي إرسال مواليدهم إلى البادية ليرضعوا الحليب من مرضعات من نساء عرب البادية وذلك لكي ينشأ الطفل فــي ذلك المناخ الطيب ويتعلم اللسان العربي الفصيح، وحسب هذه العادة فقد انتخــبوا امرأة من أشراف وأعف نساء قبيلة بني سعد، وتسمى حليمة السعدية وذلــك لتقوم بإرضاعه ورعايته؛ ولأن حليمة رأت السعادة والبركة في وجود محمد ﷺ عندها لذا فإنها حرصت على إبقائه عندها ست سنوات، وكانت تأتي بــه كــل ســنة إلى مكة لتمدد عقدها مع أهله، وبعدها وحسب طلب أمه آمنة بنــت وهــب فقد عادوا به إلى مكة ليعيش قرب أمه، وبعد مدة سافرت آمنة إلــى المدينة لزيارة أقربائها وكان بصحبتها محمد وبقيا في المدينة مدة بعدها رجعــا فمرضــت آمنة في الطريق وفارقت الحياة في الأبواء وهو منزل بين مكــة والمديــنة حيــث قامــت أم أيمن خادمتها ومن معها برعاية محمد ﷺ الــذي كــان عمــره آنذاك أكثر من ست سنوات، وآتوا به وسلموه إلى جده عبد المطلب.

وفي تلك الأثناء كان عمر عبد المطلب قد وصل إلى المائة سنة توفّي فــي ذلــك الوقــت فأوصى بأن يقوم عم محمد بالقيام بتربيته فأخذ أبو طالب محمــداً وكــان ناشــئاً إلى منزله وأخذ يتفانى في رعايته وتربيته، وكان في أوضــاع محمد آثار وصفات عظيمة في الجلال والفصاحة والبلاغة والحكمة



كانــت ظاهــرة علــيه، وكلما تحدث معه أحد أحس بحلاوة أخلاقه وسلوكه المحبوب ووقع تحت تأثير كلامه اللطيف.

وفــي سن الثالثة عشر سافر محمد ﷺ مع عمه (أبو طالب) في قافلة إلى الشام، وهناك وفي طريقهم التقوا براهب في دير حيث تأثر بحديث محمد ومنزلــته، وقال الراهب لعمه (أبو طالب) وحسبما قرأت في الكتب السماوية فإن هذا الطفل سيصل إلى مكانة مرموقة في الدين فيجب حفظه من الأعداء.

وازدادت رعايــة أبو طالب لمحمد الذي يعرف مكانته جيداً. ومن تلك الســنة فقــد ســافر محمد ﷺ في تجارة لأبي طالب عدة مرات وعاد بأرباح وفوائد كثيرة.

ولأنــه اشتهر بين الناس بالصدق والإحسان والأمانة ففي سن ٢٥سنة اســتدعه إحدى سيدات مكة وهي خديجة بنت خويلد وذلك لترسله بتجارة إلى الشام واستجاب لها وسافر ورجع وربح ربحاً كثيراً، فأثنت خديجة على صدقة وأمانــته وعــندما علــم أبــو طالــب بــأن هناك ميلاً من خديجة للاقتران بمحمــد ﷺ أقــنعه بذلك وذهب مع كبار قريش وذلك لخطبتها وزواجها من محمد ﷺ وكان سن محمد آنذاك ٢٥سنة وسن خديجة ٤٠سنة، وكان أهل مكة فرحيــن من اقتران خديجة بمحمد من أصحاب الأموال والذين تقدموا للزواج من خديجة فلم يجدوا موافقة منها.

فقالوا: لقد أذلتنا خديجة فقد فضلت هذا اليتيم علينا ولكنهم لم يجدوا في ســلوك محمــد وخديجة حجة يتشبثون بها لكي ينتقدوا هذا الزواج، فقصرت ألسنتهم عن ذكر أي شيء إلا كون محمد يتيماً.

لقد عرف محمد ﷺ بين الناس بالأمانة والصدق بحيث صار مضرباً للأمــثال، وعــند حــدوث نزاع بني القبائل كانوا يختارونه حكماً بينهم لأنهم




يعلمون بأن أقواله وأعماله مبنية على العدل والحكمة.

ومن بين تلك الحوادث كانت حادثة تجدد بناء الكعبة حيث اختلفت القبائل على من سيكون له شرف رفع الحجر الأسود ووضعه في محله، وكانت كل قبيلة من القبائل تحب أن تكون صاحبة هذا الشرف فحدث اختلاف وجدال بني القبائل، وأخيراً اقترح أحد كبار القبائل بأن يكون محمد حاكما بينهم واتفقوا جميعا على ذلك لأنهم يعلمون بأن محمداً أمين ولا يقول إلا الحق، فقال محمد ﷺ: "**إذا رضيتم بحكمي فسوف أكون حاكما بينكم؟**".

فقالوا: نحن نرضى بحكمك. ففرش رداءه على الأرض ووضع الحجر عليه وقال: "**الآن ليأخذ كل رئيس عشيرة بطرف من الرداء**" وعندما أوصلوه إلى مكان معين أخذه بيده الشريفة ووضعه في محله، وقد نال هذا الحكم رضا الجميع حيث إنهم اشتركوا جميعاً في شرف رفع الحجر وتعلموا درساً كبيراً في التعاون، وبين ٢٥- ٤٠ سنة كان محمد يترك مكة أحياناً يذهب إلى غار -جبل- حراء وذلك للخلوة والعبادة والتفكير، ولما بلغ الأربعين بعثه الله نبياً فنزل عليه جبريل بأول آية من القرآن من سورة العلق وأمره بالقراءة في الوقت الذي كان فيه الرسول أمياً ولم يتعلم من أحد، وقد وقع هذا الأمر في السابع والعشرين من رجب حيث يعتبر يوم المبعث الشريف وعندها نزل عليه الكتاب ازداد علمه بحيث أصبح أعلم من في الأرض ومن ذلك الوقت جاء الأمر إلى الرسول بأن يبلغ رسالته إلى الأقربين من قومه، وأول من أسلم من بدين محمد من النساء خديجة الكبرى ومن الرجال علي بن أبي ب عليه السلام وكان في سن العاشرة آنذاك، وبعد مدة نزل الأمر الإلهي بأن عوته إلى الناس كافة فلم يؤمن به إلا قليل من الصالحين، وأما



المشـــركون وعـــبدة الأصـــنام فقد خالفو وأخذوا يناصبونه البغض والعداوة ويدعونه بالساحر والكذاب والمجنون وأذّوه أذى شديداً، وكان عمه أبو طالب محـــترماً بين العرب وقد نصحوه بأن لا يكون عونا لمحمد ولكن أبا طالب لم يأبـــه لكلامهـــم وأخذ يدافع عنه بما يستطيع، وأما أبو جهل الذي كان رئيس القبـــيلة وكذلك أبو لهب قد عادوا النبي إلى حد أن سورة زجر وتقريع نزلت بحق أبي لهب.

أمـــا آيـــات القـــرآن فقد أخذت تؤثر تأثيراً كبيراً في قلوب الصالحين لأنهـــا كانـــت أبلـــغ وأفصـــح مـــن كـــل ما سمعوه وقرؤوه، بحيث أصبح الشـــعراء والخطـــباء العـــرب فـــي حيرة من فصاحة القرآن وبلاغته، وكان القـــرآن أكـــبر معجـــزة للرسول ﷺ وقد تحدى كل الخلق بأن يأتوا بآية من آياته.

وعندما آمن جمع من أهل المدينة وأخذ أهل مكة يضاعفون من أذاهم للمسلمين وكانوا ينوون قتل النبي في وقت ارتحل فيه أبو طالب إلى رحمة الله نزل الأمر إلى الرسول بأن يهاجر وأنصاره إلى المدينة في السنة الثالثة عشر بعد البعثة، وقد أنشأوا هناك قاعدة محكمة للدين. والسنة التي هاجر فيها النبي ﷺ مـــن مكـــة إلـــى المدينة أصبحت بداية التاريخ الإسلامي يعرف بالتاريخ الهجري.

وفي المدينة أخذت دعائم الإسلام تقوى وتترسخ يوماً بعد يوم وخاض المسلمون حروباً عديدة ضد كفار قريش وضد اليهود وتتوج جهادهم بفتح مكة وطهروا بيت الله من دنس الأوثان، وبقي مركز الإسلام في المدينة، وصارت أحكام القرآن هي الحكمة على أرض الجزيرة العربية وبعدها أخذت تنتشر إلى كافـــة البلدان والأمصار، وفي السنة العاشرة للهجرة الثالثة والعشرون للبعثة




حج الرسول الأكرم ﷺ آخر حجة له، وعند الرجوع إلى المدينة أوصى المسلمين بولاية علي عليه السلام وذلك في مكان يقال له غدير خم في خطبة مشهورة، ونزلت البشرى بتمام الدين، وبعد هذا السفر وتلك الحجة التي سميت حجة الوداع ارتحل الرسول ﷺ إلى بارئه وذلك في الثامن والعشرين من صفر وقد بلغ عمره الشريف ٦٣سنة، وقد ختمت رسالات الأنبياء جميعاً.

وإلى انتهاء الخليفة برسالة الرسول محمد ﷺ وأصبح دين الإسلام الوسيلة لهداية البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة وإلى قيام الساعة.

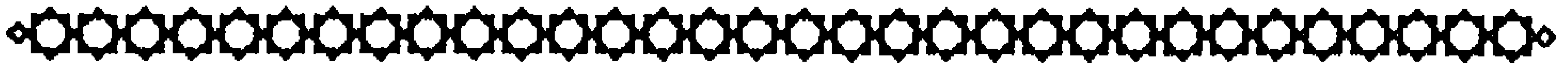
محمد ﷺ مولده وشرف نسبه وكرم نشأته

ولد ﷺ في صباح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل على المشهور وكان مولده بمكة أشرف البلاد وأكرمها على الله سبحانه وتعالى.

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم وبشارة عيسى وصفوة سلالة قريش وأشرف العرب بدواً وحضراً وأفضلهم بيتا وأعزهم نفراً لم يزل ﷺ ينتقل من خير الأباء حتى انتهى إلى كبير مكة قريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ثم الذي أبيه عبد الله والد المصطفى أشرف الناس نسباً عجماً وعرباً.

شب رسول الله ﷺ والله يحرسه ويرعاه ويحفظه من أدناس الجاهلية!! يزيد من كرامته ورسالته فجعله أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسبا وأعظمهم جوراً.





محمد ﷺ أفضل المرسلين

وانفــرد ﷺ مــن الأنبياء والرسل بأن معاصريه قد وقفوا على جميع خلالــه وأخلاقــه الخاصة والعامة ثم تناقلها الناس جيلا بعد جيل واضحة لا خفــاء فيها ولا لبس فهو الرسول التاريخي بالمعنى الصحيح؛ لأن سيرته من مولــده إلــى مماتــه ثابــتة ثبوتا لا مرية فيه وهذا هو سر أن محمداً أفضل المرســلين وأرفعهم شأناً وأعلاهم قدراً به بين الشمائل والأعمال ما فهم العالم قدر النبوة والأنبياء.

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات

تحــت هــذا العــنوان ذكــر الإمــام القسطلاني كيف أن رسول الله محمــداً ﷺ قد فاق الأنبياء في معجزاته كمًّا وكيفاً في العدد والقدرة والرفعة والسمو.

فالله تعالى خص نبيا بأشياء لم يعطها لنبي قبله، وما خُص نبي بشيء إلا وكان سيدنا محمد ﷺ مثله بل أكثر منه.

خلق آدم ﷺ وخلق محمد ﷺ

إذا كان آدم خلقه الله بيده فقد أعطى سيدنا محمد شرح صدره، وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي.

السجود لآدم وفضله عليه ﷺ

أمــا سجود الملائكة لآدم فكان تكريماً لــه وطاعة لله ﷻ كذلك قال الله تعــالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا




تَسْلِيماً﴾[١].

فهـذا تكريم ورفع مكانة للنبي ﷺ من الله وملائكته، ومن الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بين محمد ﷺ وإدريس عليه السلام

فـإذا كان إدريس رفع إلى السماء كما قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[٢]. فقـد أعطـى سيدنا محمداً ﷺ المعراج ورفع إلى مكان لم ولن يرفع إليه غيره.

بين نوح عليه السلام ومحمد ﷺ

وأمـا نوح عليه السلام فنجاه الله تعالى ومن آمن به من الغرق، ونجاه من الخسف. فقد أعطى سيدنا محمداً ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٣].

بين إبراهيم الخليل ومحمد الأمين عليهما الصلاة وأفضل التسليم

وأمـا إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت عليه نار النمرود برداً وسلاماً. فقد أعطـى سـيدنا محمد ﷺ نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه ﷺ وناهيك بنار حطبها السيوف، ووهجها الحتوف، وموقدها الحسد، ومطلبها الروح والجسد،

١- سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢- سورة مريم، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

٣- سورة الأنفال، الآية: ٣٣.





قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾(١).

روى النسائي أن محمد بن حاطب قال: كنت طفلاً فانصب عليّ القدر واحــترق جلــدي كله فحملني أبي إلى رسول الله ﷺ فتفل في جلدي ومسح المحترق وقال: "**اذهب الباس رب الناس**" فصرت صحيحاً لا بأس بي.

وأما ما أعطيه إبراهيم عليه السلام من مقام الخلة. فقد أعطيه نبياً محمد ﷺ وزاد بمقام المحبة.

وقــد روى في حديث الشفاعة أن الخليل إذا قيل لــه: اتخذ الله خليلاً فاشــفع لــنا. قال: إنما كنت خليلاً من وراء، اذهبوا إلى غيري إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فيقول: "**أنا لها، أنا لها**".

وممــا أعطيه إبراهيم عليه الصلوات والتسليم انفراده في أهل الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للأصنام يكسرها.

فقــد أعطــي سيدنا محمد ﷺ كسرها بأسرعها بمحضر من أصحاب نصرها بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة ربانية ومادة إلهية اجتزأ فيها بالأنفاس عــن الفأس وما عول على المعول ولا عرض في القول كما قال إبراهيم، بل جهر جهراً بغير سر: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٢).

وممــا أعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بناء البيت الحرام ولا خفاء أن البيــت جســد وروحه الحجر الأسود، بل هو سويداء القلب، ولقد جاء في الحديــث: "**أنه يمين الرب فمين مسحه فكأنما بايع الله**" وهو تمثيل والله المثل الأعلى.

١- سورة المائدة، الآية: ٦٤.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٨١.




وقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أن قريشاً لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق إلا مواضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل، فكان هو رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين فحكموه في ذلك، فأمر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال: "**يرفع كل بطن من قريش بطرف فرفعوه جميعاً ثم أخذه سيدنا محمد ﷺ فوضعه في مكانه**".

فادخر الله ذلك المقام ليكون منقبة لـه على مدى الأيام.

بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ

وأما ما أعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة. فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ حنين الجذع.

فقد كان في المسجد جذع شجرة ميتة يخطب عليها، ولما صنع لـه المنبر تركوه فحن الجذع حتى بكى واستلمه ﷺ حتى سكن.

وقد حكى الإمام الرازي وغيره أنه: لما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعابين، ففر هارباً.

وأما ما أعطيه موسى أيضاً من اليد البيضاء وكان بياضها يغشي البصر. فقد أعطى ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجون وقال: "**انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك ومن خلفك عشراً فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان**" فانطلق فأضاء لـه العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج. رواه أبو نعيم. والمعلوم أن كرامة الولي معجزة لنبيه.

ومما أعطيه موسى عليه السلام من انفلاق البحر لـه.

فقد أعطي نبينا محمد ﷺ انشقاق القمر.





ومما أعطيه موسى عليه السلام إجابة دعائه.

فقد أعطي نبينا محمد العشرات من الإجابات كما مر قريباً.

ومما أعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء لـــه من الحجارة.

أعطي سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه.

وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء، ولم تجر العادة أن الماء من اللحم.

ومما أعطيه موسى عليه السلام أنه كلم الله لـــه على الطور.

فقـــد أعطـــي سيدنا محمد ﷺ مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو والتدلي وكان فوق السماوات العُلى.

بين هارون عليه السلام ومحمد ﷺ

وأما ما أعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان. فقد كان نبيا ﷺ من الفصـــاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهله، وقد أُتي جوامع الكلم أيضا ﷺ (١).

بين يوسف عليه السلام ومحمد ﷺ

وأما ما أعطيه يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك ثـــلاث مـــنامات: حيـــن رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدة لـــه، والثاني منام صاحبي السجن، والثالث منامم الملك.

وقد أعطي نبينا من ذلك ما لا يدخله الحصر.

ومـــن أمـــثاله: أن رأى فـــي يديه سوارين فكرههما فنفخهما فطارا،

١- اقرأ المجازات النبوية للشريف الرضي. تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، لتتأكد من صدق قولنا.





فأولهمـــا كذابين بعده يدعان النبوة: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، لعنها الله تعالى.

بين داود ﷺ ومحمد ﷺ

أما ما أعطي داود ﷺ من تليين الحديد لـــه.

فأعطـــي نبينا ﷺ أن العود اليابس أخضر في يده، ومسح شاة أم معبد العجفاء فبرئت ودرت باللبن.

بين سليمان ﷺ ومحمد ﷺ

أمـــا ما أعطيه سليمان ﷺ من كلام الطير وتسخر الشيطان والريح والملك الذي لم يعطيه أحد من بعده.

فقد أعطي نبينا ﷺ مثل ذلك وزيادة:

- أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر.
- وسبح في كفه الحصى وهو جماد.

وكلمـــه ذراع الشـــاة المسمومة التي قدمته زينب بنت مشكم لـــه ﷺ ومات منه البراء بن المعرور.

- وكذلك كلمه الظبي.
- وشـــكا لـــه البعير من إهانة صاحبه لـــه وتجويعه إلى غير ذلك مما يطول ذكره، وإنما نحن هنا نضرب أمثلة.
- وأما الريح التي كان غدوها شهراً ورواحها شهراً تحمله أين أراد من أقطار الأرض.

فقد أعطي ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح، بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من فراشه ﷺ إلى حيث انتهى من مكة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماوات إلى سدرة المنتهى.





كان ذلك في أقل من ساعة زمانية.

ويقول أهل الفلك: إن المسافة تلك سبعة آلاف سنة.

وتلك مسافة السماوات فقط، أما إلى المستوى الذي وصل إليه فذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

- وأيضاً الريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض.

ونبينا ﷺ زيوت لـه الأرض - أي جمعت لـه- حتى رأى مشارقها ومغاربها.

والفرق بين الوضعين واضح، فلا نسبة بين من سعى إلى الأرض وبين من تسعى لـه الأرض صلى الله عليك وسلم يا أشرف الخلق.

- وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين.

فقد روي أن أحد الشياطين اعترض سيدنا محمداً ﷺ وهو في الصلاة، فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد.

وخير ما أوتيه سليمان من ذلك تسخير الجن.

وما أوتيه رسولنا ﷺ من ذلك إيمان الجن.

فسليمان استخدمهم، ومحمد ﷺ استسلمهم.

أما عن الجن من جنود سليمان في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1].

فخيرٌ منه عند الملائكة، جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة عليهم السلام من جملة أجناده. فقد ثبت أن الملائكة حاربت معه ﷺ في أكثر من غزوة.

١- سورة النمل، الآية: ١٧.





- وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك.

فنبينا عليه الصلاة والسلام خيِّر بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً، فاختار ﷺ أن يكون نبياً عبداً تواضعاً.

بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ

وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى: فأعطي سيدنا محمد ﷺ أنه رد عين قتادة بن النعمان إلى مكانها حينما سقطت على وجنته، فكانت أحسن عينيه.

وأما ما أعطي عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما يخفيه الناس في البيوت: فقد أعطي نبياً ﷺ ما لا يحصى من ذلك.

وأما ما أعطي عيسى من رفعه إلى السماء: فقد أعطي نبينا ﷺ ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات ﷺ.

من معجزاته ﷺ استجابة دعائه ﷺ

وهذا نوع آخر من معجزاته ﷺ هو استجابة دعائه عليه الصلاة والسلام. ونقدم هنا بعض الحالات التي استجاب الله تعالى فيها دعاءه ﷺ: فقد دعا ﷺ لأنس فقال: "**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته**" رواه البخاري.

وفي "**الأدب المفرد للبخاري**" عن أنس قال: قالت أم سليم - وهي أم أنس-: خويدمك ألا تدعو له؟ فقال: "**اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، وغفر له**". (رواه مسلم والترمذي وأحمد).

وفي الصحيح: أن أنساً كان في الهجرة ابن تسع سنين، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل، وقيل: سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين.





قاله خليفة وهو المعتمد.

وأمـــا كـــثرة ولده، فروي مسلم قال أنس: "**فوالله إن مالي لكثير، وأن ولدي وولد ولدي ليعادُّون على نحو المائة اليوم**".

وورد فـــي حديث رواه الشيخان أن أنساً قال: أخبرتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون.

وقال ابن قتيبة في (المعارف): كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم ولده مائة لصلبه: أبو بكرة، وخليفة بن بدر، وأنس، وزاد غيره رابعاً: وهو الملهب بن أبي صفر.

وأخـــرج ابن سعد عن أنس قال: دعا لي النبي ﷺ: " **اللهم أكثر ملاه وولـــده، وأطـــل عمـــره، واغفر لـــه**" فقد دفنت من صلبي مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة (مغفرة الله تعالى لـــه).

ودعا ﷺ لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك لـــه في ولده، فولد لـــه ثمانون ولداً.

وأرســـل ﷺ إلـــى يوم خيبر، وكان أرمد، فتفل في عينه وقال: "**اللهم أذهـــب عنه الحرب والبرد**" قال: فما وجدتُ حرّاً ولا برداً منذ ذلك اليوم، ولا رمدت عيناي.

وبعث ﷺ عليا إلى اليمن قضيا قال: يا رسول الله لا علم لي بالقضاء، فقـــال: "**أدن منـــي**" فدنا منه وضرب بيده على صدره وقال: "**اللهم اهد قلبه وثبـــت لسانه**"، قال علي: فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين. رواه أبو داود وغيره.





وعاد ﷺ عليّاً من مرض فقال: "**اللهم اشفه، اللهم عافه**" ثم قال: "**قم**" قال علي: فما عاد لي الوجع بعد. رواه الحاكم وصححه البيهقي.

ودعا ﷺ لابن عباس: "**اللهم فقهه في الدين، اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل**" رواه البغوي وابن سعد.

وفي البخاري: "**اللهم علمه الكتاب**" فكان عالماً بالكتاب، حبر الأمة، بحر العلم، رئيس المفسرين، ترجمان القرآن، وكونه في الدرجة العليا والمحل الأقصى لا يخفى.

وقال ﷺ للنابغة الجعدي لما قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في علم إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

* * *

"**لا يفضضن الله فاك**" أي لا يسقط الله أسنانك، قال فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغراً. رواه البيهقي وقال فيه: فلقد رأيته أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن.

وسقاه ﷺ عمرو بن أخطب ماء في قدح قوارير، فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها، فقال: "**اللهم جمّله**" فبلغ ثلاثاً وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم.

وقال ﷺ لابن الحمق الخزاعي، وقد سقاه ﷺ: "**اللهم متعه بشبابه**" فمرت عليه ثمانون سنة ولم ير شعرة بيضاء. رواه أبو نعيم وغيره.

ودعا ﷺ لعروة بن الجعد البارقي فقال: "**اللهم بارك في صفقة يمينه**" قال: فما اشتريت شيئاً إلا وربحت فيه.

وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل، وضرب في صدره وقال:




"**اللهم ثبته واجعله هادياً مهديّاً**" قال فما وقعت عن فرسي بعدُ.

وقـال لسعد بن أبي وقاص: "**اللهم أجب دعوته**". فكان مجاب الدعوة. رواه البيهقي والطبراني في الأوسط.

ودعـا لعـبد الرحمن بن عوف بالبركة. رواه الشيخان عن أنس، زاد البيهقي من وجه آخر، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة. الحديث.

ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز – وهو الدم بالوبر – حتى استعطفه قريش.

ولما تلا ﷺ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [1]. قال عتبية بن أبي لهب: كفرت برب النجم، قال ﷺ: "**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**" فخرج عتيبة مع أصحابه في عـير إلـى الشام حتى إذا كانوا بالشام زأر أسد، فجعلت فرائصه ترعد، فقيل لـه: مـن أي شيء ترتعد؟ فوالله ما نحن وأنت في هذا إلا سواء فقال: إن محمداً دعا عليّ، ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثـم وضـعوا العشاء فلم يدخل يديه فيه حتى جاء النوم، فأحاطوا به وأحاطوا أنفهسـم بمـتاعهم ووسطوه بينهم وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلاً رجـلاً حـتى انـتهى إليه فمضغه مضغة، وهو يقول: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس ومات، ذكره يعقوب الإسفراييني.

وعـن مازن الطائي – وكان بأرض عمان – قلت: يا رسول الله، إني امـرؤ مولـع بالطرب وشرب الخمر والنساء، وألحت علينا السنون، فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال، وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ما

١- سورة النجم، الآية:١.




أجـد ويأتينـي بالحياء، ويهب لي ولداً فقال ﷺ: "**اللهم أبدله بالطرب قراءة القــرآن، وبالحرام الحلال، وائته بالحياء، وهب لــه ولداً**" قال مازن: فأذهب الله كـل ما كنت أجد، وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن. رواه البيهقي. وأكل رجل عنده بشماله فقال: "**كل بيمينك**" قال: لا أسـتطيع، قـال: "**لا استطعت**" فما رفعها إلى فيه بعد والرجل هو بسر ابن راعي العير.

وكان معاوية رديفة يوماً فقال: "**يا معاوية، ما يليني منك؟**" قال: بطني قال: "**اللهم املأه علماً وحلماً**" رواه البخاري في تاريخه.

وقال لابن ثروان: "**اللهم أطل شقاءه وبقاءه**" فأدرك شيخاً كبيرا شقيا يتمنى الموت.

وأما حديث أبي هريرة عند البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: "**لكل نبي دعـوة مسـتجابة يدعـو بهـا، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**".

فقـد استشـكل ظاهرة بما ذكرناه، وبما وقع لنبينا ولكثير من الأنبياء صـلى الله علـيهم وسلم من الدعوات المجابة، فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط.

وأجيـب: بأن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الإجابة. وقيلك معنى قوله: "**لكل نبي دعوة**". أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى.

وقـيل: لكـم مـنها دعوة عامة مستجابة في أمته، إما بإهلاكها وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب.

وقـيل: لكـل نبـي مـنهم دعـوة تخصه لدنياه ولنفسه، كقول نوح:


﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾(١)، وقل زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٢) وقل سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٣).

وفي الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء، حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولمن يجعلها دعاء عليها بالهلاك كما وقع لغيره، صلوات الله وسلامه عليهم.

وظاهر الحديث يقتضي أنه ﷺ أخَّر الدعاء والشفاعة يوم القيامة، فذلك اليوم يدعو ويشفع، ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها، وأما طلبها فحصل من النبي ﷺ في الدنيا (حكاه صاحب مزيد الفتح).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل رسلو الله ﷺ أن يدعو لأمه فيهديها الله، فدعا لها، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب، فلما فرغت قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ﷺ وسأله أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين، فدعا لهما، فحصل ذلك، قال أبو هريرة: فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبنا. (أخرجه البخاري).

١- سورة نوح، الآية: ٢٦.

٢- سورة مريم، الأيتان: ٥،٦.

٣- سورة ص، الآية: ٣٥.



من معجزاته ﷺ التزام الجبل لأمره ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُـداً فرجفت بهم فضرب النبي ﷺ برجله وقال: "**اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**". رواه البخاري وأحمد والترمذي وأبو حاتم.

قال ابن المنير: قيل: الحكمة في ذلك أنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبيـن أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلـم، وأن تلك رجفة الغضب، وهذه هزة الطرب (السرور) ولهذا نص على مقـام النبوة والصدّيقين والشهادة لعمر وعثمان رضي الله عنهما التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه، فاقر الجبل فاستقر.

من معجزاته ﷺ انقياد الشجر لــه ﷺ

عن جابر بن عبد الله قال: ذات يوم أراد النبي ﷺ أن يقضي حاجته، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق إلى أحدهما فـأخذ مـن أغصانها وقال لها: "**انقادي علي بإذن الله**" فانقادت عليه كالبعير يمشـي خلـف قائده ثم فعل بالثانية ما فعل بالأولى حتى كان بالمنتصف قال لهما: "**التئما علي بإذن الله**"، فالتأمتا عليه بإذن الله فلما فرغ من قضاء حاجته أمرهما فعادت كل واحدة مكانها.

عـن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدنا مـنه أعرابـي فقال لــه: "**أين تريد؟**" فقال الأعرابي: ذاهب إلى أهلي، فقال النبـي ﷺ: "**هـل لك خير من ذلك؟**" قال الأعرابي: وما هو؟ فقال النبي ﷺ: "**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**" فقال الأعرابي: ومن يشهد لك يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: "**هذه الشجرة التي بشاطئ الوادي فادعها فإنها**



تجيبك"، وقال لها: رسول الله يدعوك، فذهب الأعرابي للشجرة يميناً وشمالاً ومن أمامها ومن خلفها حتى تقطعت عروقها وأقبلت تخد الأرض خداً تجر عروقها حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ: فقالت، أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم رجعت إلى مكانها، فقال الأعرابي: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله ﷺ. (رواه الإمام البخاري).

من معجزاته ﷺ شكاية الجمل لـه ﷺ

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلي الحديث لا أحدث به أحداً من الناس، قال: وكان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه – وفي رواية: فسكن – ثم قال ﷺ من ربُّ هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال: "**ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه) في العمل**". (الحاكم في المستدرك على الصحيحين).

كلام الذئب بشهادته له ﷺ

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، ثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: عدا (هجم) الذئب على شاة فأخذها الراعي، فانتزعها منه، فاقعي الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي؟ فقال: يا عجبي، ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من


زواياهـا، ثـم أتـى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله فنودي: الصلاة جامعـة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: **"صدق والذي نفـس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده"** (أخرجه أحمد والبيهقي).

من معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده الشريفةﷺ

عـن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت جالسا بجوار النبي ﷺ وحوله أبـو بكـر وعمر وعثمان وبين يديه سبع حصيات فأخذهن النبي ﷺ في كفه فسبحن حتى سمعت لهن طنيناً كطنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن أبـو بكر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن عمر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي: **"هذه خلافة النبوة"** (رواه البيهقي).

من معجزاته ﷺ حنين الجذع لـه ﷺ

عـن أنـس رضـي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهـره إلـى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس، فجاء رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع لـه منبر لـه درجتان ويقعد على الثالـثة، فلما قعد رسول الله ﷺ على المنبر جأر الجذع كجؤور الثور، حتى ارتـج المسـجد لجؤاره حزناً على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله وهو يجأر، فلما التزمه سكت، ثم قال رسول ﷺ: **"والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لمـا زال هكـذا حـتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله"** فأمر به ﷺ فدفن (رواه البخاري).

والحمـد لله أولا وأخـيرا وصلاة وسلاما على المبعوث هاديا مبشراً ونذيراً على آله وصحبه وسلم.





فهرس

















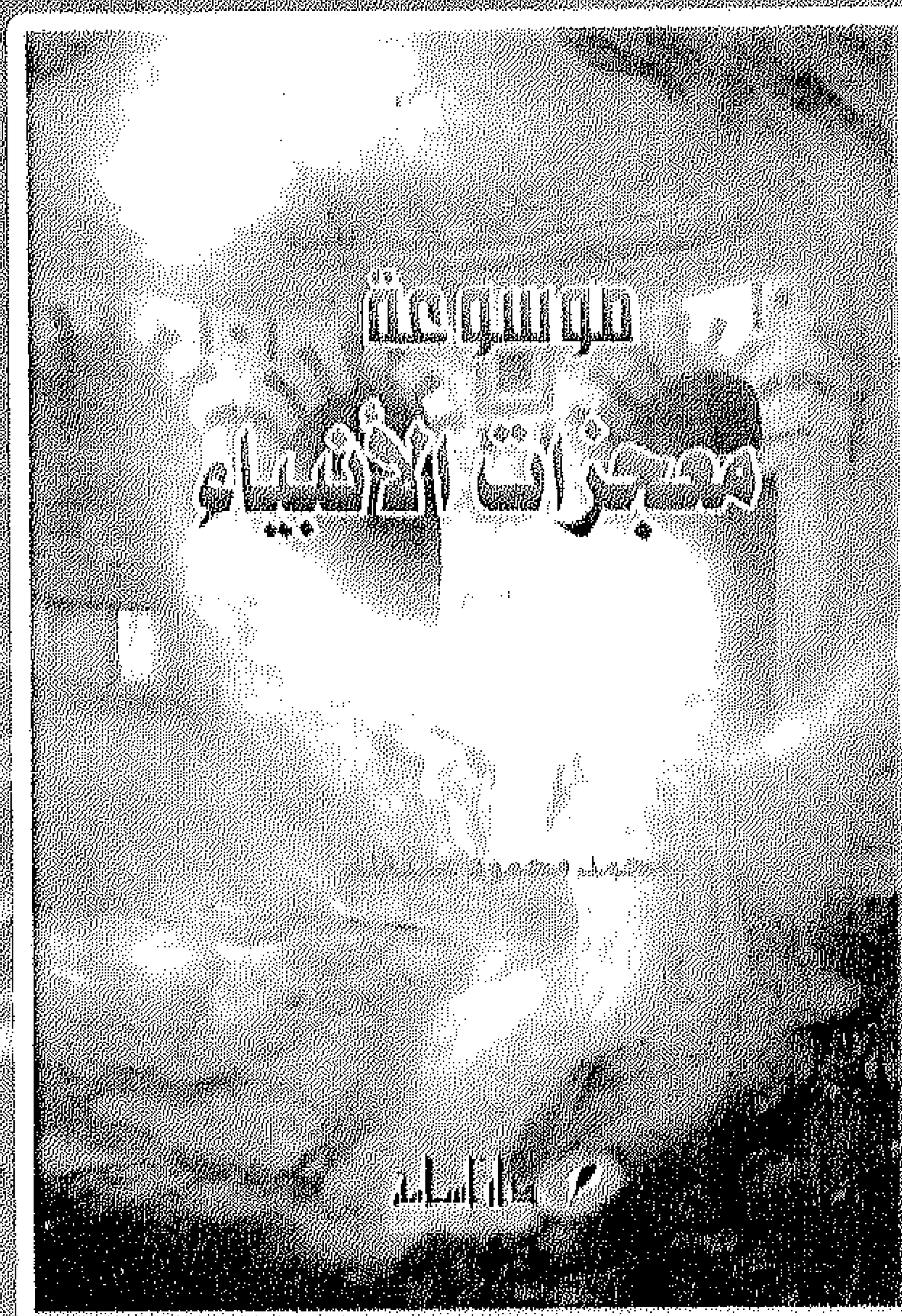


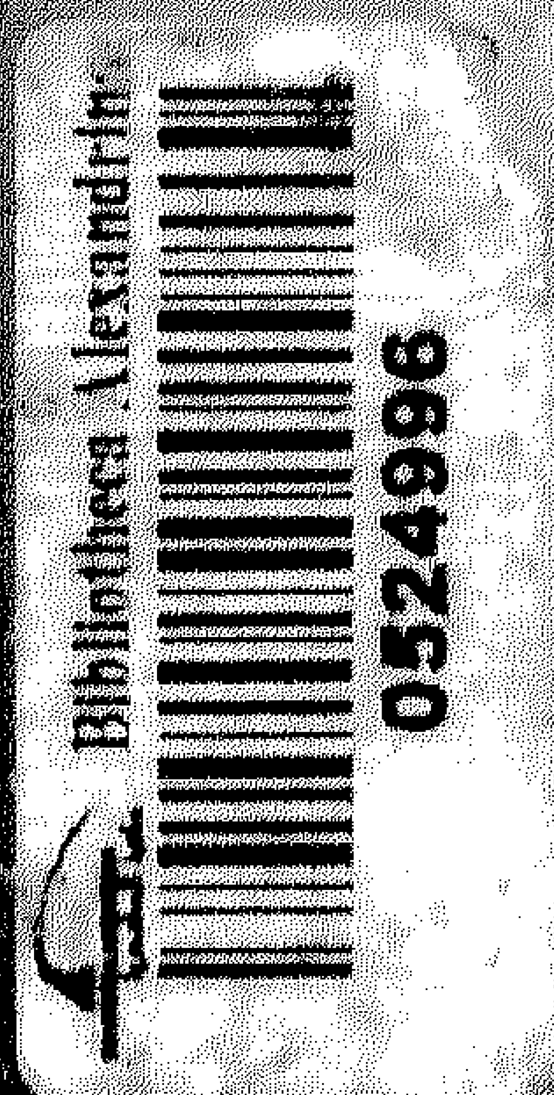





al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين






للنشر والتوزيع
الأردن - عمان
هاتف: 5658253
فاكس: 5658254